جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

العاقبة في القرآن الكريم

إعداد

سجود سعيد يوسف عبد الواحد

إشراف

د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2013

العاقبة في القرآن الكريم

إعداد

سجود سعيد يوسف عبد الواحد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 11 / 9 /2013م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
-الدكتور عودة عبد الله	/ مشرفا ورئيسا	.....
-الدكتور اسماعيل نواهضة	/ ممتحنا خارجيا	.....
-الدكتور حسين النقيب	/ ممتحنا داخليا	.....

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(و اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين .. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى كل مسلم غيور على دينه متمسك بأخلاقه

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله

إلى من آثروني على نفسهم و ؤهمس نجاحي

لموني علم الحياة والداي العزيزان أمد الله في عمرهما

إلى بسمتي في الحياة ونور عيوني ... ولادي (يزيد ومعاوية)

إلى الروح التي سكنت روحي رفيق دربي زوجي الغالي ( )

إلى رياحين حياتي (إخوتي وأخواتي)

أهدي هذا الجهد سائلة المولى عز وجل ن يتقبله في ميزان

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه ، ورزقنا من واسع فضله وعظيم كرمه والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين وبعد :

بعد أن نَّ الله تعالى علي بإنجاز هذه الدراسة أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور : عودة عبدالله الذي أشرف على هذه الرسالة ومنحني من فكره ورأيه السديد وبذل من الجهد الكثير مما كان له أكبر الأثر في إخراج هذه الرسالة إلى حيز النور ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة الدكتور حسين النقيب ، والدكتور اسماعيل نواهضة لقبولهما مناقشة هذه الرسالا ، نفع الله بهما الإسلام والمسلمين .

والشكر لأختي الغالية(نسيبة) التي كانت عونا لي أثناء كتابة الرسالة وطباعتها وترتيبها .

والشكر موصول إلى كل من أعانني ولو بكلمة سديدة ، أو رأي حكيم ، أو دعا لي دعوة خالصة لوجهه الكريم ، أو قدم لي العون في إنجاز هذه الدراسة جزاهم الله عني خير الجزاء وأعانني وإياهم على فعل الخير .

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان الآتي:

العاقبة في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص ، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد ، وأن هذه الرسالة كاملة ، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبـــل لنيـــل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: **Student's Name:**

التوقيع: **Signature:**

التاريخ: **Date:**

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	ذ
المقدمة	1
الفصل الأول تعريف العاقبة وبيان دلالتها في السياق القرآني	8
المبحث الأول تعريف العاقبة	9
المبحث الثاني : العاقبة في السياق القرآني	11
الطلب الأول : عرض مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم	11
المطلب الثاني : الملحوظات العامة لورود مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم.	17
المطلب الثالث: معاني مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم	18
الفصل الثاني أعمال أهل الباطل التي تستوجب العاقبة السيئة	21
المبحث الأول الاستهزاء والسخرية	23
المطلب الأول خطر الاستهزاء بالدين وأهله وبواعثه	23
المطلب الثاني عاقبة المستهزئين	27
المبحث الثاني التكذيب والإعراض عن الحق	30
المطلب الأول صور التكذيب والعناد من أهل الباطل	30
المطلب الثاني عاقبة التكذيب	33
المبحث الثالث الإفساد في الأرض	36
المطلب الأول صفات المفسدين	36
المطلب الثاني عاقبة الإفساد في الأرض	39
المبحث الرابع الصد عن سبيل الله	42
المطلب الأول صفات الصادين عن سبيل الله	42
المطلب الثاني طرق صدهم عن سبيل الله	45
المطلب الثالث عاقبة الصد عن سبيل الله	49

الفصل الثالث أعمال أهل الحق الموجبة للعاقبة الحسنة	53
المبحث الأول التواضع	54
المطلب الأول معنى التواضع وأنواعه	54
المطلب الثاني عاقبة التواضع	56
المبحث الثاني الإحسان في العبادة	59
المطلب الأول الغاية من العبادة وشروط قبولها	59
المطلب الثاني عاقبة الإحسان في العبادات	61
المبحث الثالث عدم إتباع خطوات الشيطان	63
المطلب الأول نهي الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين عن اتباع سبيل الشيطان	63
المطلب الثاني عاقبة إتباع خطوات الشيطان وجزاء الطاعة	64
المبحث الرابع الأمل بالفرج	66
المطلب الأول معنى الأمل وأسباب اليأس	66
المطلب الثاني عاقبة الأمل بالله	68
الفصل الرابع العاقبة الحسنة في القرآن الكريم	70
المبحث الأول عاقبة المؤمنين	72
المطلب الأول : معنى الإيمان وصفات المؤمنين	72
المطلب الثاني: عاقبة الإيمان	75
المبحث الثاني عاقبة المتقين	78
المطلب الأول معنى التقوى	78
المطلب الثاني عاقبة التقوى	79
المبحث الثالث عاقبة الصادقين	83
المطلب الأول معنى الصدق وأنواعه	83
المطلب الثاني عاقبة الصدق	85
المبحث الرابع عاقبة الصابرين	89
المطلب الأول معنى الصبر وأنواعه	89
المطلب الثاني عاقبة الصبر	90
الفصل الخامس العاقبة السيئة في القرآن الكريم	93
المبحث الأول عاقبة الظالمين	95
المطلب الأول معنى الظلم وأنواعه	95

المطلب الثاني عاقبة الظلم	97
المبحث الثاني عاقبة المترفين	102
المطلب الأول معنى الترف وأسبابه	102
المطلب الثاني عاقبة الترف والمترفين	104
المبحث الثالث عاقبة المتكبرين	110
المطلب الأول معنى الكبر	110
المطلب الثاني عاقبة الكبر	112
المبحث الرابع عاقبة البطر	116
المطلب الأول معنى البطر	116
المطلب الثاني عاقبة البطر	117
الفصل السادس السنن الإلهية والبعد الواقعي للعاقبة	123
المبحث الأول تعريف السنن الإلهية وعلاقتها بالعاقبة في القرآن الكريم	125
المطلب الأول تعريف السنن الإلهية	125
المطلب الثاني أمثلة من السنن الإلهية	127
المبحث الثاني العاقبة السيئة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم	131
المبحث الثالث العاقبة الحسنة بين الماضي والحاضر	136
الخاتمة	114
قائمة المصادر والمراجع	144
المخلص بالإنجليزي	B

العاقبة في القرآن الكريم

إعداد

سجود سعيد يوسف عبد الواحد

إشراف

د.عودة عبد الله

الملخص

إن أهم ما يبتغيه المؤمنون على الدوام هو أن يكتب الله لهم حسن العاقبة وينجيهم من كل سوء. وهذه الرسالة دراسة قرآنية ، تناولت موضوع العاقبة في القرآن الكريم من خلال آياته وقد قسمت إلى ستة فصول ومقدمة وخاتمة حيث كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذه الدراسة وإبراز قيمتها من خلال الحديث عن سنن الله في خلقه وفائدة الاعتبار من عاقبة السابقين وربطها بالواقع، وأما بالنسبة للفصول فقد كان الفصل الأول منها في معنى العاقبة لغةً واصطلاحاً وفي السياق القرآني ثم يليه الفصل الثاني بعنوان : الأعمال الموجبة للعاقبة الحسنة ويتبعه الفصل الثالث الذي حمل الأعمال الموجبة للعاقبة السيئة أما الفصل الرابع فقد حوى بعض الأخلاق الحسنة وعاقبتها كما فصلها القرآن الكريم في ثنايا الآيات ومثله الفصل الخامس في تفصيل العاقبة السيئة وختامها الفصل السادس فقد حوى علاقة السنن الربانية بالعاقبة وربطها بالماضي والحاضر ولنأخذ العبر من القصص والأقوام السابقة في القرآن الكريم وربطها مع واقعنا المعاصر وكانت كتب التفسير والأخلاق واللغة هي الكتب والمراجع المعتمدة في هذه الرسالة مع التركيز على كتب التفسير وأقوال المفسرين ، وقد تضمنت الخاتمة نتائج عدة، منها:

1 إن هناك علاقة وثيقة بين العاقبة والسنن الربانية التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه وجرت وتجري عليها نواميس الكون ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر بتدبر هذه السنن والتفكر فيها وربط الماضي بالحاضر من خلالها.

2 إن كل عمل له عاقبته إن كان حَسَناً فعاقبته حسنة وإن كان سيئاً فعاقبته سيئة تطبيقاً لقاعدة (الجزاء من جنس العمل).

3 إن ارتكاب المعاصي والذنوب والتخلق بالأخلاق الذميمة يؤدي إلى العاقبة السيئة ، وإن الإيمان وما يتعلق به من الأخلاق الحميدة يؤدي إلى العاقبة الحسنة.

4 إن ما يصيب الأمة الآن إنما هو استمرار لسنن الله تعالى في خلقه.

5_ إن هناك تقصير من العلماء خاصة ، والمسلمين فيما بينهم عامة في تذكير وحث بعضهم بالحرص على تحري الأعمال والأقوال الحسنة لنيل رضى الله والعاقبة الحسنة.

المقدمة

الحمد لله ذي العز المجيد والبطش الشديد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم لمن خافه واتقاه بدار له فيها من كل خير مزيد أحمده وهو أهل الحمد والثناء والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أما بعد :

تأتي هذه الدراسة ضمن التفسير الموضوعي للقران الكريم ، حيث تشير كثير من آيات القرآن الكريم إلى العاقبة الحسنة والسيئة والأعمال المؤدية إليهما في مجال الاعتقاد والعبادات والمعاملات.

فنحن نتعبد بقراءة سور القران وآياته بتدبر أو بدون تدبر . وحتى يكتمل معنى العبادة يجب ان نطبق ما في الآيات من توجيهات وأوامر لنكون في زمرة الموحدين الذين يرضى الله عنهم ويحسن إليهم في الدنيا والآخرة

وأما من أعرض عن ذكر الله تعالى وخالف أوامره وعصاه ، فقد دخل في دائرة الشك والشرك والكفر ، واستحق غضب الله وعذابه والعاقبة السيئة في الدنيا والخرة .قال تعالى (البقرة 29:28) .

ولقد حفلت آيات القرآن الكريم وسوره بخطاب النفس البشرية (العقل والقلب معا) للتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة ، وتزكية النفس لتبقى في دائرة الرضى والفلاح ، وحسن العاقبة (الخاتمة والمصير) قال تعالى (سورة الشمس ...الآيات)

ولقد لفت نظري أن المراجع والكتب المتوافرة في المكتبة الاسلامية عموما والإسلامية خصوصا لم تعط هذا الموضوع (العاقبة في القران الكريم) حقه من الدراسة والتفصيل والتوصيل لمعانيه ومقتضياته الإيمانية والعملية السلوكية لتغيير النفس البشرية للأفضل والأحسن. وإنما كانت هناك إشارات في ثنايا بعض المراجع والكتب المذكورة لاحقا ، لا تفي بغرض البيان للعاقبة الحسنة والسيئة والأعمال الموصلة لتحققها . فقد رأيت أن يكون ميدان رسالتي هذا البحث المستفيض في بيان العاقبة والخاتمة والمصير للإنسان في الدنيا والآخرة ، لأن إهمال الفهم فيه خطير جداً على الإنسان ، لأن العاقبة الأبدية جنة او نار .

وبعد التحري والبحث والاستشارة مع المعلمين الافاضل والمتخصصين في علوم القران استقر الاختيار على موضوع العاقبة في القران الكريم الذي هو بين أيدينا الآن .

وفي الختام أشكر الله عز وجل الذي أمدني بالعافية حتى أتممت هذا العمل ، تحت إشراف الدكتور الفاضل : عودة عبد الله حفظه الله- مع علمي أنني لم أوف هذا البحث حقه والكمال لله وحده عز وجل ، فما كان فيه من صواب ، فبفضل الله ورحمته ، وما كان فيه من زلل فاستغفر الله منه ، وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الدراسات السابقة

من خلال استعراضي للقراءات السابقة في هذا الموضوع (العاقبة) كجزء من الدراسات القرآنية لم أجد كتابا متخصصاً في دراستها بشكل كامل وشامل . وإنما وجدت بعض اشارات وتعليقات على الموضوع العاقبة في القران الكريم في تفسير الآيات ذات العلاقة بموضوعنا في مكانها في ثنايا كتب التفسير القديمة والحديثة .

ولم أجد تصنيفا او تبويبا أو تعريفا لأنواع العاقبة وصورها وحالات الإنسان في الدنيا والآخرة والأعمال المفضية لأنواع العاقبة بشقيها الحسنة والسيئة ولا كيفية التحصن والاهتزاز عن الأفكار والأعمال والأقوال المفضية للعاقبة السيئة ، بشكل منهجي في الكتب والمراجع المتوافرة فهي إما إشارة إلى جزيئات عند تفسير الآيات كما في كتاب الظلال أو تفسير الطبري والقرطبي وتفسير ابن كثير .

وأما عنوان فرعي في ثنايا دراسة مثل التعرض إلى عاقبة الصد أو الخيانة أو الظلم في بعض كتب التربية مثل كتاب المستخلص في تزكية الأنفس للشيخ سعيد حوى او كتاب الإحياء للغزالي رحمهما الله.

أما دراستي هذه فقد تناولت مفهوم العاقبة في القرآن الكريم بشكل عام فعمدت إلى تعريف العاقبة ، وبينت أنواعها في القرآن وأمثلتها كما بينت الأغراض التربوية والبعد الواقعي للعاقبة بشقيها الحسنة والسيئة وعملت على جمع الآيات التي تتعلق بالموضوع وعمدت إلى تفسيرها ، كما قسمت صور العاقبة إلى قسمين الحسنة والسيئة .

ومن أهم الدراسات في هذا المجال:

1 العاقبة للشيخ محمد عبد الحق الإشبيلي ، ويبحث في الموت والنشور والحشر كجزء من أحداث اليوم الآخر والعاقبة بهذا المعنى ليست ما سأتناوله في دراستي . مع العلم أن تشابه الأسماء لا يعني تشابه الدراسة أحياناً.

2 السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد للدكتور عبد الكريم زيدان بين الكاتب في كتابه هذا القوانين التي تحكم الناس في سلوكهم وتصرفاتهم وما يترتب عليها من نتائج وعواقب في الدنيا والآخرة فكان كتابه في السنن الربانية كموضوع أساس يتطرق من خلاله إلى العاقبة التي سأكتب فيها .

3 السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات .مجدي عاشور.

وهناك رسائل علمية تطرق كتابها لموضوع العاقبة من خلالها ولكن كفصل من فصولها لا كعنوان رئيس لها ، ومن هذه الرسائل :

1) إنكار الظلم ، من إعداد الطالب محمد إبراهيم سيف من جامعة النجاح الوطنية عام 2007 تضمنت هذه الدراسة عاقبة الظلم بشكل خاص ولم تتناول موضوع العاقبة بكل نواحيها .

2) التقوى في القرآن الكريم ، من إعداد الطالب نبيل محمد احمد زهور جامعة النجاح الوطنية، عام 2008 وهذه أيضا تطرقت إلى فصل من فصول العاقبة بشكل خاص وهو عاقبة المتقين .

3) الخيانة في القرآن الكريم ، إعداد الطالب محمد أحمد الحاج حسن عام 2010 حيث تعرض فيها الباحث لعاقبة الخيانة فقط كفصل من فصول رسالته.

4) الدلالات التربوية المستنبطة من آيات الصبر في القران الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة . إعداد الطالب/نبيل بن أحمد مسفر الغامدي إشراف سعادة الأستاذ الدكتور/حامد بن سالم الحربي بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية و المقارنة مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة -جامعة أم القرى.

5) الصبر على الابتلاءات الخاصة والعامة (رؤية إسلامية) ، د. إيـــــاد فوزي حمدان وقد عالجت الدراسة مفهوم الصبر في اللغة والشرع ، كما بينت ضرورة وأهمية

الصبر ، وركزت على آثاره وثماره في الدنيا والآخرة . مدللة على ذلك بأدلة وشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح .

6) أثر الإيمان والتقوى في الرخاء الاقتصادي ، الدكتور محمد ولد سيدي عبدالقادر مقال

7) السنن الالهة في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعا ودراسة ، أيمن نبيه المغربي _رسالة ماجستير.

8) الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ، الأمين الصادق الأمين _ رسالة دكتوراه.

9) الظلم وأثره على الفرد والمجتمع)دوخي بن يزيد الحارثي _ رسالة ماجستير.

10) أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة)طالب حماد أبو شعر _ رسالة ماجستير.

11) (الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف)عادل محمد صالح أبر العلاء _رسالة دكتوراه .

12) الكبر والمتكبرون في الكتاب والسنة عبد الله قاسم عبد الله _ رسالة ماجستير.

13) نظرة القرآن الكريم إلي الترف والمترفين ، مريم محمود حسن صالح _ رسالة ماجستير.

أهمية الدراسة

1. إن موضوع العاقبة الحسنة والسيئة ورد في القرآن الكريم بشكل موسع وبارز ويستأهل الدراسة.
2. السنن الربانية في القرآن الكريم تعد ركنا أساسيا في بناء القرآن بالإجمال أو التفصيل ، لبيان العاقبة الحسنة والسيئة في الأمم السابقة.
3. بيان الدروس والعبر من خلال أحداث واقعية في حياة الإنسان ، للوقاية من الوقوع في الأعمال الموصلة لنفس العاقبة و المصير.
4. لفت الانتباه إلى الأعمال الحسنة وعاقبتها والأعمال السيئة وعاقبتها لتحفيز الإنسان على المبادرة .

أسباب اختيار البحث

1. خدمة القرآن الكريم وتفسيره وتوثيق صلة الناس به .
2. إثراء المكتبة الإسلامية بإضافة موضوع جديد من موضوعات التفسير القرآني.

حاجة الواقع لإبراز وإلقاء الضوء على مثل هذه الموضوعات لإحياء البعد الدعوي والتربوي .

توضيح بعض معاني الشريعة للمسلمين في ضوء سنن الله التي بينها لنا ، وليعلموا أن ما هم عليه لم يحدث صدفة بل نتيجة حتمية لما فعلوه أو تسببوا في فعله .

أهداف البحث

يهدف من هذه الدراسة إلى :

إضافة مميزة في الدراسات القرآنية لإثراء المكتبة القرآنية في مجال التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .

بيان مفهوم العاقبة لغة وشرعا .

بيان أنواع العاقبة وعرض أمثلة ونماذج عليها .

بيان البعد التربوي للعاقبة في القرآن الكريم وأثر ذلك على تغيير سلوك الناس وتوثيق الصلة بالله عز وجل.

بيان العلاقة بين العاقبة والسنن الربانية .

معرفة كل ما يتعلق بالعاقبة : كالسلوك وأثره ، والجزاء والمصير .

بيان البعد الواقعي لأثر العاقبة على الأفراد والمجتمعات والأمم .

منهجية الدراسة

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو : المنهج الاستقرائي التحليلي ، وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بالعاقبة ونظائرها في القرآن الكريم ، ومن ثم دراسة هذه الآيات وفق منهجية التفسير الموضوعي: وذلك عبر الخطوات الآتية:

جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع .

الاطلاع على تفسير هذه الآيات في كتب التفسير ودراستها في ضوء الموضوع.

دراسة الألفاظ ذات الصلة والعلاقة بالعاقبة .

تقسيم الموضوع إلى مباحث مترابطة مأخوذة من الآيات نفسها .

بيان البعد الواقعي المعاصر لهذه الآيات وربطها بمشكلات العصر ، ودراستها في ضوء هذه المشكلات وواقع المجتمع .

استخلاص الدلائل والعبر من الآيات القرآنية وبيان موطن الاستدلال خاصة اللطائف والعبر ذات البعد الواقعي المعاصر .

الاطلاع على الكتب والدراسات التي تناولت هذه الموضوع والإفادة منها .

اتباع النهج العلمي الصحيح في التبويب والتوثيق .

حدود الدراسة

هذه الدراسة محدودة بدراسة موضوع العاقبة والآيات التي تحمل معنى العاقبة في القرآن الكريم وإن لم تذكر فيها العاقبة بصورة مباشرة مثل الخاتمة والمصير وغيرها .

خطة الدراسة

جاءت هذه الدراسة عن (العاقبة في القرآن الكريم) على النحو الآتي:

الفصل الأول تعريف العاقبة وبيان دلالتها في السياق القرآني

المبحث الأول تعريف العاقبة

المبحث الثاني: العاقبة في السياق القرآني

الفصل الثاني أعمال أهل الباطل التي تستوجب العاقبة السيئة

المبحث الأول الاستهزاء والسخرية

المبحث الثاني التكذيب والإعراض عن الحق

المبحث الثالث الإفساد في الأرض

المبحث الرابع الصد عن سبيل الله

الفصل الثالث أعمال أهل الحق الموجبة للعاقبة الحسنة

المبحث الأول التواضع

المبحث الثاني الإحسان في العبادة

المبحث الثالث عدم اتباع خطوات الشيطان

المبحث الرابع الأمل بالفرج

الفصل الرابع العاقبة الحسنة في القرآن الكريم

المبحث الأول عاقبة المؤمنين

المبحث الثاني عاقبة المتقين

المبحث الثالث عاقبة الصادقين

المبحث الرابع عاقبة الصابرين

الفصل الخامس العاقبة السيئة في القرآن الكريم

المبحث الأول عاقبة الظالمين

المبحث الثاني عاقبة المترفين

المبحث الثالث عاقبة المتكبرين

المبحث الرابع عاقبة البطر وكفر النعمة

الفصل السادس السنن الإلهية والبعد الواقعي للعاقبة

المبحث الأول تعريف السنن الإلهية وعلاقتها بالعاقبة في القرآن الكريم

المبحث الثاني العاقبة السيئة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثالث العاقبة الحسنة بين الماضي والحاضر

الفصل الأول

تعريف العاقبة وبيان دلالتها في السياق القرآني

المبحث الأول : تعريف العاقبة

المبحث الثاني :العاقبة في السياق القرآني

الفصل الأول

تعريف العاقبة وبيان دلالتها في السياق القرآني

المبحث الأول

تعريف العاقبة

في بداية هذا المبحث لا بد من الحديث عن جذر كلمة (عاقبة) وهو (عقب) ، قال ابن فارس أن العين والقاف والباء أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على تأخُّر الشيء وإتيانه بعد غيره والآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة يقال: ليس لفلان عقب، أي: ليس له ولد يخلفه وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه ، وعاقبة كل شيء آخره . وإنما سُمِّيت عقوبة لأنها تكون آخراً وثاني الذنب . والعاقبة :الجزاء بالخير ، أو آخر كل شيء وخاتمته . وأعقبه بطاعته جازاه والعقاب الجزاء.[1]

وتقول العرب: لقي فلان من فلان عقبة ، أي: شدة، والعقبة : الجبل الطويل الذي يعرض الطريق ومن الباب: العُقاب من الطير ، سُمِّيت بذلك لشدتها وقوتها . ويقال: أعقبه الله بإحسانه خيراً ، أي عوّضه وأبدله.[2]

" وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم العاقب لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء عليهم السلام".[3] عن رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ لِى أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا

---

[1] انظر: ابن فارس، أبو الحسن أحمد: **معجم مقاييس اللغة.** تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل ، بيروت لبنان ط2، 1420- 1999 (4 /77 -79)الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور (ت:370ه):**تهذيب اللغة** ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت ط1، 2001م(179/1). وإبراهيم : محمد إسماعيل ، **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية** -: دار الفكر العربي القاهرة ،(ص350). الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** (4 /149)، مؤسسة الرسالة بيروت 1979 . والزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس** دار الهداية (398/3).

[2] انظر: ابن منظور، محمد بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت،. ص(611/1)، والأزهري: **تهذيب اللغة**. ص(179/1).

[3] الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**. ص(149/4)، ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة** (80/4)

الْمَاحِى الَّذِى يَمْحُو اللَّهُ بِىَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَىَّ وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ« [1]

وقال الفراء: " يُقَال عاقبَه عَاقِبَة بِمَعْنى الْعقَاب والمعاقبة، جعله مصدراً على فاعلة كالعافية وَمَا أشبهها[2]. والعقبى: الآخرة أو المرجع إلى الله أو جزاء الأمر" .[3]

والعقْب والعقُب مثل عسْر وعسُر ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (الكهف:)، أي عاقبة[4] ، وأعقبهم الله أي جازاهم بالنفاق وتعقبه عاقبه بذنبه[5].

وقد ورد في القاموس القويم أن تعريف العاقبة اصطلاحاً هو: " آخر كل شيء وخاتمته، فمن العاقبة بالشر قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران:) أي: جزاؤهم أو خاتمتهم الأليمة ، أو نهايتهم . وعن العاقبة بالخير ، قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف:) أي : الجزاء الكامل أو الخاتمة الحسنة والنهاية السعيدة".[6]

والعقوبة والمعاقبة والعقاب : تختص بالعذاب . والعقبى : تختص بالثواب . وأما بالإضافة فقد تستعمل في العقوبة نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ (الروم: ١٠) . أما قوله تعالى: ﴿ وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (الرعد:) فهو استعارة من ضده ، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران:).[7]

---

[1] مسلم : الجامع الصحيح ،كِتَاب الْفَضَائِل باب 34 فِى أَسْمَائِهِ -صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 6252 (89/7)

[2] الأزهري: **تهذيب اللغة**. ص(79/1).

[3] انظر: **القاموس المحيط** (150/4) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، **الصحاح في اللغة، تحقيق :**احمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت، **ط:4** 1407 هـ - 1987 م (483/1).

[4] انظر: الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر **مختار الصحاح** تحقيق : محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون بيروت الطبعة طبعة جديدة ، 1415 1995 (186/1). والزبيدي: **تاج العروس**. ص(396/3).

[5] انظر: الرازي: **مختار الصحاح. ص**(186/1).

[6] عبد الفتاح، إبراهيم أحمد: **القاموس القويم للقرآن الكريم**. القاهرة. (1427هـ/2006م). ص(29/2).

[7] الكفوى : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م(1/1042) .

المبحث الثاني

العاقبة في السياق القرآني

المطلب الأول : عرض مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم

وردت مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم بصيغ واشتقاقات مختلفة لكل منها مدلولها بحسب السياق الذي وردت فيه ، وهذا الجدول يعرض للآيات بحسب ترتيبها في المصحف ، بالإضافة إلى بيان رقم الآية واسم السورة ، ومكية هي أو مدنية ، وذلك على النحو الآتي[1]:

المفردة وعدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	رقم الآية	بيان المكي والمدني من السور
يعقب (مرتين)	1	وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ	النمل	10	مكية
	2	وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ	القصص	31	مكية
عاقب (مرة واحدة)	3	ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ	الحج	60	مدنية
عاقبتم (مرتين)	4	وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ	النحل	126	مدنية
	5	فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا	الممتحنة	11	مدنية
فعاقبوا (مرة واحدة)	6	وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ	النحل	126	مدنية
عوقب (مرة واحدة)	7	ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ	الحج	60	مدنية
عوقبتم	8	وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا	النحل	126	مدنية

[1] أنظر مادة (عقب) عند : عبد الباقي، محمد فؤاد (ت :1388هـ) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية (طبعة سنة1364هـ/1945م)(ص:467 -468)

(مرة واحدة)		عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ			
فأعقبهم (مرة واحدة)	9	فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ	التوبة	77	مدنية
عقبه (مرة واحدة)	10	وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	الزخرف	28	مكية
عقبيه (ثلاث مرات)	11	إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ	البقرة	143	مدنية
	12	وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا	آل عمران	144	مدنية
	13	فَلَمَّا تَرَاءَتِالْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ	الأنفال	48	مدنية
أعقابكم (ثلاث مرات)	14	أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ	آل عمران	144	مدنية
	15	إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ	آل عمران	149	مدنية
	16	قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ	المؤمنون	66	مكية
أعقابنا (مرة واحدة)	17	وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ	الأنعام	71	مكية
عقباً (مرة واحدة)	18	هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا	الكهف	44	مكية
العقاب (ستة عشر مرة)	19	وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	البقرة	196	مدنية
	20	وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	البقرة	211	مدنية
	21	كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ	ال عمران	11	مدنية

		بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ			
	22	وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	المائدة	2	مدنية
	23	اعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	المائدة	98	مدنية
	24	إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	الانعام	165	مكية
	25	إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	الاعراف	167	مدنية
	26	وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ	الانفال	13	مدنية
	27	وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	الانفال	25	مدنية
	28	إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ	الانفال	48	مدنية
	29	فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ	الانفال	52	مدنية
	30	وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ	الرعد	6	مدنية
	31	غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ	غافر	3	مكية
	32	فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ	غافر	22	مكية
	33	وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	الحشر	4	مدنية
	34	وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	الحشر	7	مدنية
عقاب (اربع مرات)	35	ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ	الرعد	32	مدنية
	36	إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ	ص	14	مكية

		عِقَابِ			
	37	وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ	غافر	5	مكية
	38	إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ	فصلت	43	مكية
العقبة (مرتين)	39	فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ	البلد	11	مكية
	40	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ	البلد	12	مكية
عقبى (خمس مرات)	41	وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ	الرعد	22	مدنية
	42	سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ	الرعد	24	مدنية
	43	أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ	الرعد	35	مدنية
	44	وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ	الرعد	35	مدنية
	45	يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ	الرعد	42	مدنية
عقباها (مرة واحدة)	46	وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا	الشمس	15	مكية
العاقبة (اربع مرات)	47	إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	الاعراف	128	مكية
	48	فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ	هود	49	مكية
	49	لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى	طه	132	مكية
	50	نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا	القصص	83	مكية

		فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ			
عاقبة (سبع وعشرون مرة)	51	فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	ال عمران	137	مدنية
	52	قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	الانعام	11	مكية
	53	فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ	الانعام	135	مكية
	54	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ	الاعراف	84	مكية
	55	وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	الاعراف	86	مكية
	56	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	الاعراف	103	مكية
	57	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ	يونس	39	مكية
	58	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ	يونس	73	مكية
	59	أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	يوسف	109	مكية
	60	فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	النحل	36	مكية
	61	وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ	الحج	41	مدنية

	62	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	النمل	14	مكية
	63	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ	النمل	51	مكية
	64	فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ	النمل	69	مكية
	65	رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ	القصص	37	مكية
	67	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ	القصص	40	مكية
	68	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	الروم	9	مكية
	69	ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ	الروم	10	مكية
	70	فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ	الروم	42	مكية
	71	وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ	لقمان	22	مكية
	72	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	فاطر	44	مكية
	73	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ	الصافات	73	مكية
	74	أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ	غافر	21	مكية
	75	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ	غافر	82	مكية

		مِن قَبْلِهِمْ			
	76	فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	الزخرف	25	مكية
	77	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	محمد	10	مدنية
	78	فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا	الطلاق	9	مدنية
عاقبتهما (مرة واحدة)	79	فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا	الحشر	17	مدنية
معقب (مرة واحدة)	80	وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	الرعد	41	مدنية
معقبات (مرة واحدة)	81	لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ	الرعد	11	مدنية

المطلب الثاني : الملحوظات العامة لورود مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم

عدد مرات ورود مادة (عقب) على اختلاف صيغها واشتقاقاتها في القرآن الكريم إحدى وثمانون مرة في ثلاث وثلاثين سورة.

أكثر السور التي وردت فيها مادة (العاقبة) هي سور مكية ؛ حيث وردت اشتقاقات هذا المصطلح في عشرين سورة مكية واثنتي عشرة سورة مدنية ، وسورة مختلف فيها مكية أم مدنية، وهي سورة الرعد[1] ، ولعل دلالة تركيز هذه المادة في السور المكية هي : أن الأمر الأساسي الذي اهتم به النبي ﷺ في بداية التنزيل هو العقيدة ، فكان فيه من الشدة لكثرة الفساد في الفترة التي عاشها المسلمون في مكة.

[1] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت:911هـ): **الإتقان في علوم القرآن.** تحقيق: سعيد المندوب. دار الفكر: لبنان. ط (1).(1416هـ/1996م). (42/1).

ورد لفظ العاقبة/عاقبة في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة ، سبع وعشرون مرة مجردة (عاقبة) وأربع مرات مع أل التعريف (العاقبة) .

المطلب الثالث: معاني مادة (عَقِبَ) في القرآن الكريم

وردت مادة (عَقِبَ) في آيات القرآن الكريم بمعانٍ عدة ، لكنها في أكثر المواضع جاءت بلفظ العاقبة التي هي بمعناها اللغوي نفسه الذي سبق ذكره وهو آخر كل شيء وخاتمته . وأوجز هذه المعاني في النقاط **الآتية:**

أولاً: العاقبة بمعنى مآل الأمر ونهايته:

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:) يقول الآلوسي : "والعاقبة مآل الأمر وهي مصدر كالعافية"[1].

وقد ذكر المعنى نفسه في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: _) " أي مآل أولئك الكافرين المقترفين لتلك الفعلة الشنعاء "[2].

إن العاقبة لها نتيجتان، إحداها النهاية المحمودة، والثانية النهاية المذمومة ، وهما على النحو الآتي:

1) العاقبة بمعنى النهاية المحمودة : قد تكون العاقبة شراً أو خيراً تبعاً لعمل الإنسان في الدنيا قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام:).

ذكر الشوكاني أن العاقبة المحمودة هي التي يُحمد صاحبها عليها، أي من له النصر في دار الدنيا ومن له وراثة الأرض ومن له دار الآخرة، أي الجنة[3].

---

[1] الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** إحياء التراث العربي. بيروت. (103/7).

[2] الآلوسي: **روح المعاني**. (172/8).

[3] انظر: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة الأولى 1414 ه . (2/239)

2) العاقبة بمعنى النهاية المذمومة : قال تعالى:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:)، بَيَّنت الآية سنة الله في تدافع الإيمان والكفر والحق والباطل ، وأن العاقبة للمتقين، والخزي والسوء نازل بالكافرين ، وإن كان ظاهر الأمر يدل على خلاف ذلك ، فإنما هو من باب الاستدراج للكافرين ، والابتلاء للمؤمنين ، فإن للباطل جولة ، ثم لا يلبث أن يندحر ويُهزَم ويبوء بالفشل والخذلان ، وهذا ما تؤكده وقائع التاريخ الماضي والحديث.

ثانياً: العاقبة بمعنى الذرية:

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الزخرف:) ، أي ان قول لا إلـــه إلا الله ، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته ، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده[1].

ثالثاً: (يُعَقِّب) بمعنى يعطف وينتظر :

قال تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (النمل:) ورد في مختار الصحاح: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ بتشديد القاف وكسرها أي لم يعطف ولم ينتظر[2].

رابعاً: العاقبة بمعنى الارتداد عن الدين (عقبيه، أعقابكم، أعقابنا)

أي حالتكم الأولى (الجاهلية قبل الإسلام) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:) فإنه يعني : من الذي يرتدّ عن دينه، فـــينافق ، أو يكفر ، أو يخالف مـــحمداً ﷺ فـــي ذلك مـــمن يظهر اتبـــاعه . قال ابن زيد فـــي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن

---

[1] انظر: **الطبري :** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310 – 224)، **جامع البيان في تأويل القران**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى **1420 هـ - 2000 م الأجزاء : 24** (21/590).

[2] انظر: الرازي: **مختار الصحاح** (1/467)

﴿ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ قال : من إذا دخـــلته شبهة رجع عن الله ، وانقلب كافراً علـــى عقبـــيه[1].

وكذلك بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾ (آل عمران:) يعنـــي ارتددتـــم عن دينكم الذي بعث الله مـــحمداً بـــالدعاء إلـــيه ، ورجعتـــم عنه كفـــاراً بـــالله بعد الإيـــمان به ، وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم مـــحمد إلـــيه ، وحقـــيقة ما جاءكم به من عند ربه[2].

---

[1] انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القران**.(3/163)

[2] انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القران**.(7/251)

الفصل الثاني

أعمال أهل الباطل التي تستوجب العاقبة السيئة

المبحث الأول : الاستهزاء والسخرية

المبحث الثاني :التكذيب والإعراض عن الحق

المبحث الثالث :الإفساد في الأرض

المبحث الرابع :الصد عن سبيل الله

الفصل الثاني

أعمال أهل الباطل التي تستوجب العاقبة

تجتمع كلمة الباطل على حرب أولياء دين الله تعالى وإن كان أهل الباطل يبغض بعضهم بعضا إلا أنهم لا يحبون الخير للمسلمين ويتمنون زواله عنهم فقال الحق سبحانه حكاية عنهم: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ﴾ البقرة: ١٠٥ ، والله تعالى يراقب أعمالهم ويحصيها عليهم حتى إذا أخذهم ؛ كان أخذه أليما شديدا في الدنيا ، وكانت عاقبتهم سيئة في نار جهنم في الآخرة.

المبحث الأول

الاستهزاء والسخرية

إن من أمراض اهل الباطل مرض الاستهزاء بالدين وأهله ، وهو خلق من أخلاق أعداء الله اتصف به الكفار والمشركون ، وتخلق به المنافقون الذين حقدوا على دين الله وأهله .

المطلب الأول خطر الاستهزاء بالدين وأهله وبواعثه

وردت آيات في كتاب الله عز وجل تبين كفر هؤلاء المستهزئين وموقف الأنبياء والرسل منهم .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦ وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة: ١٣ -١٦.

وقد حذر الله عز وجل المؤمنين من السخرية والاستهزاء حتى يكونوا بعيدين عن أخلاق الكفار ويكون المجتمع المسلم قائماً على الصدق والحق والجدية والتواضع قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الحجرات: ١١ وقال تعالى (القصص 83) ، ونهى الله تعالى عن السخرية بالناس ، وعن احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال " الكبر بطر الحق وغمط الناس"[1] وغمط الناس معناه احتقارهم ، أما بطر الحق فهو دفعه وانكاره ترفعا وتجبرا [2]. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِى الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِى الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِى أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِى أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا.« [3]

يقول سيد قطب رحمه الله :" إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس ، وهي من كرامة المجموع ، ولمز أي فرد هو لمز للنفس ذاتها ، لأن الجماعة كلها وحدة كرامتها واحدة ، والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب (يا أيها الذين آمنوا) وفيها هم أن يسخر قوم من قوم أي رجال من رجال ، فلعلهم خير منهم عند الله أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله ، وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف ، وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخامل ، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم ، وذو العصبية من اليتيم ، والجميلة من القبيحة والغنية من الفقيرة ، ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقاييس فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين ، ومن السخرية واللمز : التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها ويحسون فيها سخرية وعيباً ، ومن حق المؤمن على المؤمن لا يناديه بلقب يكرهه ويزري به "[4] .

---

[1] مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم** تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت كتاب الايمان ، رقم الحديث 275 (65/1)

[2] أنظر : النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج]شرح النووي على صحيح مسلم[، ط2 1392 دار إحياء التراث العربي بيروت ،(90/2).

[3] مسلم : **الجامع الصحيح** ، كِتَاب الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، باب (14) النَّارُ يَدْخُلُهَا الجَبَّارُونَ وَالجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، رقم الحديث 7351.

[4] قطب : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) **في ظلال القرآن :** دار الشروق - بيروت - القاهرة **ط:17** 1412 هـ **(499/6).**

يقول ابن تيمية "الاستهزاء بالقلب والانتقاص ينافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضد ضده ، والاستهزاء باللسان ينافي الايمان الظاهر باللسان كذلك"[1].

ومن بواعث هذا الاستهزاء:

أولا : ما استقر في نفوس أهل الباطل من الكره والحقد والعداء لهذا الدين وأهله قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾الزخرف: 78) " والذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق ، ولكنهم يكرهونه لأنه يصادم أهواءهم أو يقف في طريق شهواتهم وهم أضعف من أن يغالبوا أهواءهم وشهواتهم ، ولكنهم أجرأ على الحق ودعاته ، فمن ضعفهم تجاه الأهواء والشهوات يستمدون القوة على الحق والإجتراء على الدعاة"[2]

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (محمد 25 24) .

ومن الأمثلة على كراهيتهم لأهل الحق أنهم لا يرغبون لهم حصول الخير بل يتمنون لهم السوء دوما ، قال تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ البقرة: ١٠٥.

إن هذا الدين يقلب موازين الجاهلية ولن تقابله هذه الجاهلية إلا بالعناد والحقد والكراهية "وهي عالمة بما فيه من الحق والخير ، وبأنه هو الذي يُقَوِّم ما اعوج من شؤون الحياة وتكرهه لأنها

---

[1] ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ، دار ابن حزم بيروت، لطبعة الأولى1417 ،تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني محمد كبير أحمد شودري ، عدد الأجزاء : 3 \(357/1).

[2] قطب : **الظلال(367/6)** .

حريصة على هذا العوج لا تريد تقويمه ، وتود أن تبقى الأمور على اعوجاجها ولا تستقيم تكرهه لأنها هي الجاهلية ...وهو الإسلام "[1]

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ فصلت: ١٧ ، وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأعراف: ٥٩ - ٦٠ وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦٥ - ٦٦.

"إن هذا الكره الذي تَصبُّه الجاهلية على الدين وعلى الملتزمين به نابع من خشيتها على كيانها ومصالحها وشهواتها وإغرافاتها من النور الجديد فهي تحس في دخيلة نفسها مقدار ما أعرضت عن الحق ، وحكَّمت الهوى واستسلمت للشهوات "[2] .

"يأتي بعد الملأ طبقات متعددة من الأمة تكره هذا الدين وتستخدم سلاح السخرية والاستهزاء لمعارضة هذا الدين وأهله ... يفعلون ذلك لأن عملهم قائم على التجارة المحرمة التي إذا قام دين الله جفف ذلك المستنقع القذر الذي يعيشون في وحله ويتكاثرون في دنسه"[3] .

ثانيا : أن أهل الباطل يزعجهم طهر ونقاء أهل الحق لذا يسعون إلى تشويه سمعتهم والسخرية منهم ، ولا يطيقون هذا الطهر والعفة قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأعراف٨٢ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ البروج: ٨.

---

[1] قطب :محمد، **جاهلية القرن العشرين** ، دار الشروق ،الطبعة: 1408هـ -1988م ص 322 .

[2] قطب : **جاهلية القرن العشرين** ص 325

[3] قطب : **جاهلية القرن العشرين** ص 337 -330

وهذه النفوس المريضة الفارغة تتلذذ بالسخرية من الناس والاستهزاء بهم ، وبأفعالهم ، وتتمتع بالافتراء عليهم وإذا تأملنا سيرة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم نجدهم أكثر من استهزئ بهم وسخر منهم ، وهذا عزاء لغيرهم ليصبروا على ما يلاقونه في سبيل الحق من أهل الباطل والساخرين ، قال تعالى ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الزخرف: ٦ -٧ وقال تعالى ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ يس: ٣٠

المطلب الثاني :عاقبة المستهزئين

أولاً :الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة

توعد الله عز وجل المستهزئين بخزي في الدنيا ، وعذاب في الآخرة ، لأن المستهزئين بالمؤمنين وبدين الله وشرائعه لن يضروا إلا أنفسهم ، ويوم يُعرَضون على ربهم يندمون ولكن لا ينفع الندم ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الفرقان: ٤١ - ٤٢ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الشعراء: ٥ ٦.

قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر 99 95)

وفضح الله سبحانه وتعالى المستهزئين ووصفهم بالمجرمين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ

أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المطففين: ٢٩ - ٣٦ المطففين: ٢٩ - ٣٣ ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩.

تعالى : ﴿يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ عِقَابِ ﴾ الرعد: ٣٢ وهذه الآية فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم - ، حيث استهزئ بمن قبله من الرسل فأملى الله للمستهزئين - و " الإملاء : الإمهال " [1] ثم أخذهم الله سبحانه وتعالى وأهلكهم وأنزل العذاب فوق رؤوسهم (فكيف كان عقاب) ؛ أي : كيف كان العقاب الذي حل بهم ؟ وهذا الاستفهام فيه إشارة إلى تفخيم العقاب وتعظيمه [2] . فالله سبحانه وتعالى - يملي للمستهزئين في الدنيا ، ولكنه إذا أخذهم لا يفلتهم .

ثانياً : الإهلاك

إن إهلاك المستهزئين سنة ربانية ؛ يقول تعالى :﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ هود: ٨

---

1 انظر النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، تحقيق :يوسف علي بديوي دار الكلم الطيب، بيروت ، **ط:1** 1419 هـ - 1998 م (2 /156).

2 انظر: الطبرسي ، فضل بن حسن (ت 548 هـ / 1153 م) **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، تحقيق هاشم رسولي وفضل الله اليزيدي ،الطبعة 1 ،دار المعرفة ، لبنان ، 1986 م (6/ 453).

فعاقبة الكفار المستهزئين هي النار ؛ التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة ، يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ الروم: ١٠. وسبب هذه العقوبة العظيمة هو التكذيب أولاً ، ويضاف إليه الاستهزاء ثانياً فلهم العاقبة الوخيمة .

قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾ الروم : 16 14 . فالعذاب من الله للمكذبين المستهزئين مستمر ، ويوم القيامة فنار جهنم هي مأوى المستهزئين ؛ يقول تعالى ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴾ ص: ٥٥ - ٦٤

ثالثاً : الخلود في العذاب

المستهزئون منسيون في العذاب ، خالدون فيه لا يخرجون منه ، ولا تقبل منهم توبة ولا عذر . إذن ؛ فالخلود في النار جزاء رباني للمستهزئين . يليق بسلوكهم في الدنيا إذا استمروا على التكذيب والاستهزاء بالدين والحق حتى الموت .

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الجاثية: ٣٣ - ٣٥.

المبحث الثاني

التكذيب والإعراض عن الحق

قابل أهل الباطل الحق بالتكذيب والإعراض على مر العصور وأصروا على موقفهم وعاندوا وكابروا وصدوا عن سبيل الله، وهذا هو حالهم الذي لا يتبدل في الإعراض حتى امتلأت قلوبهم بزيف الباطل وتخبطوا في الضلال ، وتاهوا بين الأهواء والشهوات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنعام: ٤ - ٥.

حتى بعد أن أنزل الله عليهم قرآنا حجة عليهم ، أصموا آذانهم عن الاستجابة قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ فصلت: ٣ - ٥ . " قالوا :قلوبنا في أغطية فلا تصل إليها كلماتك ، وفي آذاننا صمم فلا تسمع دعوتك ، ومن بيننا وبينك حجاب فلا اتصال بيننا وبينك ، فدعنا واعمل لنفسك فإننا عاملون لأنفسنا ، أو أنهم قالو غير مبالين : نحن لا نبالي قولك وفعلك وإنذارك ووعيدك ، فإذا شئت فامض في طريقك فإنا ماضون في طريقنا ، لا نسمع لك وافعل ما أنت فاعل ، وهات وعيدك الذي تهددنا به فإننا غير مبالين"[1]. وهذا قمة العناد والتكذيب والإعراض عن الله ورسالته ورسله والدعاة إلى الحق .

المطلب الأول :صور التكذيب والعناد من أهل الباطل

من خلال استعراض تاريخ الاقوام السابقة ، ومواقفهم من الدعوة والدعاة والرسل والرسالات والأنبياء ، يتضح لنا أن مواقف الكفار دائما التكذيب والعناد والإصرار على الكفر. وهذا نجده واضحا فيآيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى :

[1] قطب: **سيد ، الظلال** (281/6).

اولاً : قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ ﴾ الأنعام: ٧ "إنه ليس الذي يجعلهم يعرضون عن آيات الله أن البرهان على صدقها ضعيف أو غامض ، أو تختلف فيه العقول ، إنما الذي يجعلهم يقفون هذا الموقف هو المكابرة الغليظة والعناد الصفيف ، وهو الإصرار مبدئياً على الرفض والإنكار وعدم اعتبار البرهان أو النظر إليه أصلاً ، ولو أن الله سبحانه نَزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القرآن لا عن طريق الوحي الذي يرونه ، ولكن في ورقة منظورة ملموسة محسوسة ، ثم لمسوا هم هذه الورقة بأيديهم لا سماعاً عن غيرهم ولا مجرد رؤية بعيونهم ما سلَّموا بهذا الذي يرونه ويلمسونه و لقالوا جازمين مؤكدين (إن هذا إلا سحر مبين)[1].

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢ ﴾ الأنفال: ٣٢.

" وفي قولهم هذا العجب العجاب من عناد المشركين في وجه الحق الذي يغالبهم فيغلبهم فإذا الكبرياء تصدهم عن الاستسلام له والإذعان لسلطانه ، وإذا بهم يتمنون على الله إن كان هذا هو الحق من عنده أن يمطر عليهم حجارة من السماء ، أو أن يأتيهم بعذاب أليم ، بدلاً من أن يسألوا الله أن يرزقهم اتباع الحق والوقوف في صفه .

وهو دعاء غريب يصور حالة من العناد الجامح الذي يؤثر الهلاك على الإذعان للحق ، حتى ولو كان حقاً ، إن الفطرة السليمة حين تشك تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحق ، وأن يهديها إليه دون أن تجد في هذا غضاضة ، ولكنها حين تفسَّر بالكبرياء الجامحة ، تأخذها العزة بالإثم ، حتى لتؤثر الهلاك والعذاب ، على أن تخضع للحق عندما يُكشَف لها واضحاً لا ريب فيه "[2].

---

[1] قطب : **سيد ، الظلال ، (472/2)**

[2] قطب : الظلال(396/3) .

ثالثا : قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود:27

وهذا النص القرآني يعرض أسبابا وذرائع ، يتذرع بها الكفار المكذبون المعاندون للحق على كفرهم وإعراضهم ، وهي كون النبي بشر مثلهم ، وكون الاتباع من البسطاء ، وكون الدعاة فقراء ضعفاء الحال ، لا يمكلون الثروة الكبيرة والجاه العريض ، وفي ذلك قلب للموازين والحقائق لا عذر لهم فيه ، وهذا لسان حال الكافرين في كل عصر أن يتهموا أهل الإيمان بالرزالة ، وضحالة الرأي ، وانعدام الميزات ، والكذب في دعوى حمل الإسلام ، وهو رد سفيه جاهل.[1]

رابعاً : قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سبأ: ٣١.

"فهو العناد والإصرار ابتداءً على رفض الهدى في كل مصادره ، لا القرآن ولا الكتب التي سبقته، والتي تدل على صدقه ، فلا هذا ولا ذاك هم مستعدون للإيمان به لا اليوم ولا الغد ، ومعنى هذا أنهم يصرون على الكفر ويجزمون عن قصد بأنهم لن ينظروا في دلائل الهدى كائنة ما كانت فهو العمد وسبق الإصرار "[2].

---

1 حوى : سعيد ، الأساس في التفسير ، 2553/5.(بتصرف)

[2] قطب : **الظلال**(121/6) .

المطلب الثاني :عاقبة التكذيب

أولاً: العذاب في الاخرة

أعد الله لهؤلاء المكذبين سوء العذاب في الآخرة ، حيث يقول تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٧، "والمراد تعظيم كفر من كذَّب بآيات الله، وصدف عنها، أي منع عنها، لأن الأول ضلال، والثاني منع عن الحق وإضلال."[1]

سيعاقب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرّفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله و حقية نبوّة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم شديد العقاب، وذلك عذاب النار التي أعدّها الله لكفرة خلقه به ، جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

ثانياً : حبوط الأعمال

هناك صنف من الناس رضو بالحياة الدنيا ورغبو عن الآخرة ، أو خلطوا الإيمان بالشرك والرياء ، فيعملون أعمال خير لا يبغون فيها وجه اله تعالى .

ونحن نشهد في هذه الدنيا اليوم أفراداً وشعوباً وأمماً تعمل لهذه الدنيا وتنال جزاءَها فيها ولدنياها زينة ، ولدنياها انتفاخ ،ولكن ليس لهم في الآخرة إلا النار لان هذه الأعمال باطله في الآخرة لا يقام لها وزن ، وحابطه .قال تعالى :﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ ١٦وقال تعالى :

---

[1] الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي(ت 606) **مفاتيح الغيب** دار إحياء التراث العربي بيروت **ط:3** 1420 هـ (23/7).

[2] الطبري : **جامع البيان في تفسير القرآن** (245/12).

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٥.

ومثلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (آل عمران: 21 22)

أي: " أولئك الذين يكفرون بآيات الله بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة " . فأما في الدنيا، فلم ينالوا بها محمدةً ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكرًا، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمَّةً، فذلك حبوطها في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بُورًا لا ثوابَ لها، لأنها كانت كفرًا بالله، فجزاءُ أهلها الخلودُ في الجحيم.[1]"

ثالثاً : الهلاك والدمار

وفي كتاب الله تعالى من أخبار الأمم المكذبة، وما حل بهم من عذاب الله، ما فيه عبرة وذكرى وكل ما حصل لهم، إنما هو بسبب إعراضهم وتكذيبهم لرُسل الله، وطغيانهم، يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي

[1] الطبري: **جامع البيان** (287/6).

ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٣٦ - ٤٠

وقال تعالى في المكذبين محذراً من يفعل أفعالهم: ﴿ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴾ محمد: ١٠

المبحث الثالث

الإفساد في الأرض

الإفساد هو الكفر والعمل بالمعصية [1]، وقد وردت مادة (فسد) في القرآن 49 مرة في 46 آية منها المكية ومنها المدنية [2]، وقد وردت مادة (فسد) في السور المكية ضِعْفَ ما وردت في السور المدنية وذلك أن المجتمع المكي كانت تسوده الجاهلية ويتزعمه أهل الفساد ، أما في المدينة فلم يكن للمفسدين قوة كما كانت في مكة، والآيات التي تتحدث عن الفساد في المدينة نزلت لفضح فساد المنافقين المندسين في صفوف المؤمنين .

المطلب الأول : مظاهر الإفساد

قدر الله تعالى وجود الفساد في الأرض ، وأسبابه ، وعاقبته ، وأن المسؤولية تقع على الناس جميعا ، المؤمنين والكافرين ، بسبب ذنوبهم ومعاصيهم . وطلب منهم النظر والاعتبار فقال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الروم:42 41 ، والفساد المذكور في الآيات يشير إلى البلايا والنكبات في بر الأرض وبحرها بسبب معاصي الناس وذنوبهم ، مثل الجدب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات ، والقتل ، والربا ، والزنا ، والنقص في الزروع والثمار، بسبب المعاصي لأن صلاح الأرض والمجتمعات والسماء بالطاعات .[3]

وهذه الصفة تتخذ مظاهرها أفعال عديدة منها :

أولاً: سفك الدماء لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس ، فالمعصية تتبعها توبة ، والخطأ يتبعه تصحيح أما القتل وسفك الدم فهو أمر كبير ، وما فرح الشيطان لذنب اقترفه إنسان كفرحه لقتل

---

[1] الطبري : **جامع البيان** (97/1)

[2] عبد الباقي : **المعجم المفهرس** (519/518)

3 ابن كثير : **تفسير القرآن الكريم** .

الإنسان أخاه الإنسان قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١ ، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ المائدة: ٦٤، فإشعال الحرب والدمار وسفك الدماء من أبرز مظاهر الإفساد في الأرض، وهل هناك أفسد ممن يقتل الناس ويدمر بدل أن ينشر الأمن والأمان؟!

وقد وردت لفظة المفسدين عشرين مرة بينما لم ترد لفظة المفسد إلا مرة واحدة [1]، وذلك أن الله يُولِي إفساد الجماعة اهتماماً لا يُولِيه لإفساد الفرد وإفساد الجماعة أعظم ضرراً من إفساد الفرد فإذا أراد الفرد ان يفسد أمرا عظيماً؛ استعان بآخرين لتعظُمَ المفسدة.

ثانياً : ترويع الآمنين والاعتداء على الأموال والأنفس

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ ﴾ البقرة: ٢٠٥ -٢٠٦ تتناول الآية الحديث عن ذلك المنافق الذي ضرب مثالاً للإفساد في الأرض يزعم أنه يريد الإسلام ، ثم إذا خلا بنفسه غدر وكفر واعتدى على الحرمات وسفك الدماء [2]. فتوعده الله بجهنم ملازمة ملاصقة له كالمهد للرضيع .

---

[1] عبد الباقي : **المعجم المفهرس**(اية220 من البقرة)ص519

[2] السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل **لباب النقول في أسباب النزول** دار إحياء العلوم بيروت ،ص27.

ثم إن الله عز وجل صان حرمة أموال الناس وأمر بعدم التعرض لها أو الاعتداء عليها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨ فالاعتداء على أموال الناس من الإفساد في الأرض.

ثالثاً: نقض المواثيق والعهود

أمر الله عز وجل باحترام العهود والوفاء بها وجعلها من تقوى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١ وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٤. وذم الله عز وجل نقضها وجعل من فعل ذلك من الكفار والمنافقين والفاسقين ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ٢٧ وقال عز وجل ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ١٠٠ وهذه الآية تبين قبح صفات بني إسرائيل والتي من أبرزها نقضهم للعهود ، فهم لا يثبتون على عهد ، يقيمونه اليوم وينقضونه غداً، وهم مستمرون في ذلك ، صفة ملازمة لهم ، وجاءت الآية في سياق الحديث عن نهي بني اسرائيل عن الإفساد في الأرض ، وقد فضح الله فسادهم في سياق الآيات.

رابعاً : الغدر والخيانة

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦ فالمفسدون في الأرض يحترفون الغدر والخداع ويتفننون في أساليبهم لذلك حتى إن بعض الناس تعجبهم أحاديثهم ويظنونهم من الأخيار حتى إذا سنحت لهم الفرصة المناسبة عاثوا في الأرض إفساداً ، ووضحت للناس أهدافهم وهؤلاء لا يراعون مودة ولا صداقة ولا عهداً ولا ذمة.

المطلب الثاني : عاقبة الإفساد في الأرض

الإفساد وفي بيان عاقبة الإفساد في الأرض حذر الله عز وجل من الأعمال التي تكون سبباً للفساد في الأرض قال تعالى:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة: ٣٢ - ٣٣ ، وحذر من طاعة المسرفين الذين هم سبب للفساد في الأرض قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ الشعراء: ١٥١ - ١٥٢.

اولاً: الخسران

نهى الله عز وجل عن الفساد في الأرض وبيَّن أن عاقبتهم هي الخسران قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ٢٧ "أي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب[1].

[1] النسفي: **تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (35/1).

ثانياً : اللعنة وسوء الدار

في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٥ ، أي الإبعاد من الرحمة والإبعاد من خيري الدنيا والآخرة إلى ضدهما من عذاب ونقمة، وَسُوءُ ٱلدَّار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٤ وأن يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها.[1]

ثالثاً : العذاب الشديد المضاعف

في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨ يقول ابن كثير : -" أي: عذاباً على كفرهم، وعذاباً على صدهم الناس عن اتباع الحق .

رابعاً: الهلاك

أمر الله عز وجل بأخذ العبرة والعظة من مصير المفسدين في الأرض والنظر في ما آلت إليه أحوالهم وما أصبحت عليه تلك الأقوام التي أفسدت في الأرض قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦.

ومن أمثلة الأقوام الذين هلكوا بإفسادهم بني إسرائيل : فقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز في أكثر من موضع فساد بني إسرائيل فكانوا أكثر الناس فساداً وإفساداً وانطبقت عليهم صفات المفسدين في الأرض ، وقد ذكر الله عز وجل كيف تفضل على بني اسرائيل وأنعم عليهم ، فَسَاق لهم الطيبات وفَجَّر لهم العيون ، وأرسل اليهم رسله على مر العصور ، ثم نهاهم مقابل ذلك كله عن المعصية والكفر والإفساد ، حتى لا يسلبهم هذه النعم . قال الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

---

[1] النسفي : **تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (217/2). و الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد**(المتوفى: 538هـ)** ، **االكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** دار الكتاب العربي - بيروت ،ط:3 1407ه ، (247/3).

مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ البقرة: ٦٠ وبينت آيات القرآن الكريم قبح صفات بني إسرائيل التي اشتهروا بها . حتى غدا الإفساد مقترناً بقصصهم في القرآن الكريم وأصبحت قصص تكذيبهم وكفرهم وإفسادهم مثالاً مكرراً للتدليل على إفساد الأمم والشعوب والكفر بنعم الله عز وجل.

قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ المائدة: ٦٢ - ٦٤. وقد بينت الآيات جوانب متعددة من فساد بني إسرائيل السلوكي والأخلاقي ، مثل المسارعة في العدوان ، وإشعال الحروب بين الأمم والشعوب ، رغم أن اليهود من أجبن الأمم وأحرصهم على حياة ، إلا أنهم برعوا في إشعال الحروب بين الأمم والشعوب ، من خلال إذكاء الفتن بينهم، وإمداد هؤلاء وهؤلاء لينهك بعضهم بعضاً ، وتبقى لهم الغلبة والسيادة على الجميع ولكن الله عز وجل تكفل برد كيدهم ، وإبطال مكرهم وهم يخالفون بفعلهم هذا صفات عباد الله الصالحين ، الذين قال الله في شأنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ الحج: ٤١.

المبحث الرابع

الصد عن سبيل الله

دأب أهل الباطل في كل زمان ومكان على صد المؤمنين وأهل الحق عن طريقهم ،ووقفوا من كل دعوة للحق موقف الصد والمحاربة ، وهذا أسلوب قديم جديد لجأ إليه الكفار والمنافقون في سبيل زعزعة الحق والتضييق على أهله قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦.

والصد عن سبيل الله قد يكون بالصد عن الدين بالكلية ، أو بالصد عن تشريعاته ومحاربتها . وقد بذل أهل الباطل أنفسهم وأموالهم في سبيل هذه الغاية وفي سبيل محاربة الحق وأهله قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٦.

المطلب الأول : صفات الصادين عن سبيل الله

أولاً : الكفر والنفاق

في القرآن الكريم وصف الله عز وجل هؤلاء الصادين عن سبيله بصفات عدة أولها وأهمها : الكفر والنفاق، يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ محمد: ١ يقول الآلوسي : " والآية عامة لكل من اتصف بعنوان الصد وقال ابن عباس : هم أي الذين كفروا وصدوا ... فإن أولئك كانوا صادين بأموالهم وأنفسهم فصدهم أعظم من صد غيرهم ممن كفر وصد عن السبيل وأعمالهم أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها ولا نفع أصلا لا بمعنى أنه سبحانه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه عز و جل حكم ببطلانها وضياعها أو أريد بها ما كانوا يعملونه من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم" [1] .

[1] الألوسي : **روح المعاني** (26/37)

وهكذا يُلاحَظ في أكثر من آية أن صفة الصد عن سبيل الله ملازمة للكفار ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٦٧ وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨.

والكفر بالله تعالى سبب رئيس في الصد عن سبيل الله لأن الكافر بالله يعبد معبوداً من دون الله وهذه العبادة تجعله يقاوم كلَّ عبادة سواها يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النمل: ٤٣.

والمنافقون إذا دُعُوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أعرضوا عن ذلك وصدوا لعلمهم أن الرسول لا يحكم إلا بالحق وهم لا يريدون الحق والعدل قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ النساء: ٦١ ووصفهم الله تعالى في قوله:" ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ المنافقون: ٤.

واتخذوا أيمانهم غطاء للصد عن سبيل الله قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ المنافقون: ٢ ومثل ذلك في سورة المجادلة قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ المجادلة: ١٦.

يقول سيد قطب : "إن اتخاذ الأيمان غشاً وخداعاً يزعزع العقيدة في الضمير ، ويشوّه صورتها في ضمائر الآخرين ، فالذي يقسم وهو يعلم أنه خادع في قسمه ، لا يمكن أن تثبت له عقيدة ، ولا أن تثبت له قدم على صراطها ، وهو في الوقت ذاته يشوّه صورة العقيدة عند مَنْ يقسم لهم ثم ينكث ، ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدجل ، ومن ثم يصدهم عن سبيل الله بهذا المثل السيء الذي يضربه للمؤمن بالله" [1].

[1] قطب :سيد ، **في ظلال القرآن** (487/4).

ثالثاً: الاستكبار والإفساد

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ المنافقون: ٥ فهؤلاء نفاقهم ولَّدَ عندهم استكباراً جعلهم يعرضون عن رسول الله ويتولون عنه ، متكبرين عن الإيمان ، فالمستكبر تأخذه العزة بالإثم ويندفع بغروره ، واستكباره للصد عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ سبأ: ٣٢.

يقول أبو السعود: "كأنه قيل: فماذا قال الذين استكبروا في الجواب ؟ فقيل: قالوا : أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ، منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان ، مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الإجرام ، فرد عليهم المستضعفون بل صدنا مكركم بنا في الليل والنهار"[1].

وأما الإفساد فهو سبب مترتب على الكفر للصد عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨ ، فعبر عن الصد في آخر الآيـــة بالفســـاد ، إذ المعنى زدناهم عذاباً فوق العذاب بسبب الذي كانوا يفسدونه ، ولذلك كان العذاب الأول في الآية بسبب الكفر ، وزيادة العذاب الثاني بسبب الصد المتسبب عن الفساد.[2]

رابعاً :حب الدنيا

ومن صفاتهم حب الدنيا وتفضيلها على الآخرة ،قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴾ إبراهيم: ٣ .

---

[1] ابو السعود: **إرشاد العقل السليم** ، دار احياء التراث_ بيروت، (7 /134)

[2] البيضاوي : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ**)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي بيروت ،**ط:1** 1418 هـ (5 /638).

يقول الفخر الرازي: "هذه من الصفات التي وصف الله الكفار بها ممن كان موصوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال ، ومن منع الغير من الوصول إلى سبيل الله ودينه فهو مُضِل ، فالمرتبة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين ، وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله ، إشارة إلى كونهم مضلين"[1].

ويقول أيضاً : "وصف الله هؤلاء الكفار بالضلال البعيد ، وهذا هو أقصى مراتب الضلال بسبب وصف الضلال بالبعد ، وهذه المرتبة في غاية البعد عن طريق الحق إذ لا يعقل ضلال أقوى وأكمل من هذا الضلال ، وقد تمكّن ذلك في نفوسهم ، ولذلك يبعد ردهم إلى طريق الهدى والخير" [2].

هذه صفاتهم ودوافعهم في الصد عن سبيل الله أما وسائلهم وأساليبهم في الوصول إلى غايتهم فهي كثيرة منها: إنفاق الأموال كما ذكرنا في بداية مبحثنا ،فكما كان المال وسيلة إلى الدعوة إلى الله ،فهو وسيلة فعالة في يد أهل الباطل للصد عن سبيل الله.

المطلب الثاني : طرق صدهم عن سبيل الله:

أولاً :إثارة الفتن

لقد تفنن الشيطان في اختراع الأساليب والأعمال ليصد عن سبيل الله الناس جميعا ، عبر قسمين رئيسيين هما :

الكفار ، حتى لا يدخلو في الإسلام ابتداء ، وذلك عن طريق تنفيرهم من الدين مطلقا ليعيشوا في دائرة الشرك والإلحاد .

المؤمنون ، عن طريق إثارة العداوة والبغضاء ، والحسد ، والحقد ، وسوء الظن ، والظلم ، لتعطيل مسار الإيمان والخير في الأرض ، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى

[1] الرازي : **مفاتيح الغيب** ط3 (78/19).

[2] الرازي : **مفاتيح الغيب** (79/19).

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١ - ٢ .

وعبر ايقاع العداوة بين المؤمنين وذلك لزعزعة الصف المسلم وإثارة الفتن فيما بينهم ، لأنه إذا تحقق ذلك فقد تحقق مرادهم وغايتهم وهذه وسيلة من وسائل الشيطان ، فهو الذي يعمد إلى إثارة الفتن والقلاقل والخلافات ، ليبني عليها العداوة والبغضاء بين عباد الله ، وبالتالـــي تتقطع الصلات والعلاقات الإيمانية ، ويصدهم بذلك عن ذكر الله و طاعته سبحانه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩١.

ولتحقيق إثارة الفتن يتبعون الفواحش كالزنا ، والقتل ، وشرب الخمر ، والميسر ، والسرقة ، وإذكاء بذور الخلاف والشقاق ، وإثارة الحروب والخصومات ، بين الناس عموما ، والسلمين خصوصا ، ومثال ذلك الحرب بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وما تبعها من حروب بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثانياً : تخذيل الناس عن فعل الخير والمعروف

الأصل في الناس والمؤمنين خاصة الحرص على الخير والمعروف ، ولكن هذا الصنف من المنافقين وغيرهم ينهون عن الخير والمعروف ، فيزرعون ألغامًا من العَثرات والمثبِّطات عن فِعْل المعروف، تارة بالتزهيد فيه، وتارة باتهام نيَّات أهْله وهذا أسلوب قديم مكشوف، سعى إليه المنافقون في عهْد النبوَّة بتخذيل غيرهم عن فِعل المعروف ،فتارة يستعملون أسلوب الغمز واللمز والسخرية من فعل الخير، فإذا أنفَقَ أحدُ الصحابة نفقة كبيرة، لَمَزوه، فقالوا: ما أراد بها إلا الرِّياءَ وإذا أنفق أحدُ الصحابة جُهده، وقلَّتْ نفقتُه، غَمَزوه، فقالوا: إنَّ الله لغنيٌّ عن نفقة هذا؛

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ التوبة: ٧٩. وتارة ينهَون الناسَ عن النفقة والبَذْل على المحتاجين من الصحابة؛ حتى ينفضُّوا عن مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - ومجالسته، تحت وطأة الضيق والجوع؛ ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ المنافقون: ٧.وتارة يخذلون عن فعل الخير، وإيجاد المبررات لهذا التخذيل؛ ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ التوبة: ٨١. وإذا رأَوا تحفُّز الهِمم نحو المعالي والقِمم، تحرَّكوا في المقابل نحو التخذيل والتثبيط؛ قال - تعالى - في شأْن أهْل النفاق: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ النساء: ٧٢، وقال سبحانه -: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب: ١٨.

ثالثاً: فتح باب المحرمات

يعمد الكفار إلى فتْحُ باب المحرَّمات على مصراعيه حتى يثيروا الشهوات والغرائز في نفوس المؤمنين، وإشاعة القول الباطل، ونشْر الشبُهات، مع جذْبِ الناس إليها بالدعايات البرَّاقة، والوسائل الجذَّابة، وإلهاء الناس بها عن أصْل وجودهم، وأساس خَلْقِهم. يملكون من الوسائل والأساليب ما يجعل قولهم مسموعًا؛ ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ ﴾المنافقون: ٤ فيا لله! كم كان لفتْح باب المحرَّمات من آثار وآثار في الصدِّ عن سبيل الله، كم راجتْ فواحش ومحرَّمات لقد عاتَبَ الله - تعالى - أهْلَ النفاق؛ لأجل مسارعتهم وحبِّهم لإشاعة الفاحشة، فقال سبحانه -:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ النور: ١٩.

ومن الأمور التي يقرِّرها العقل والدِّين، ويصدِّقها الواقع والحال، أنَّ النفوس إذا أُلْهِيتْ بالمحرَّمات، ابتعدتْ عن سبيل الله - تعالى - وطاعته ومَرضاته.

رابعاً : تشويه صورة أهل الحق

يحاول أعداء الله تعالى تشويه صورة الحقِّ وأهله من خلال الهمز واللمز وتشويه الحقائق والأحكام وهذا الفِعْل عظيم الأثر على النفس الإنسانية ؛ من آثاره جُرأة السفهاء ، وتسافُل الجُهلاء على أهل العلم ، ودُعاة الحقِّ ، وإحداث البلبلة داخل المجتمع المسلم وهذا أسلوب قديم عمد اليه المنافقون ، لقد حضَر المنافقون مشاهدَ الجهاد ، ولكن لم يكنْ حضورُهم لرفْعِ راية الدِّين ؛ وإنَّما لزعزعة صفوف المؤمنين ، وخَلخلتها من داخلها ؛ قال - سبحانه - عن المنافقين: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ التوبة: ٤٧ . والتضييق على صوت الحق وتكميمه ، ومنعه ومحاربته سنة قديمة سعى المشركون اليها بقولهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦.

كل هذا في سبيل ابتغاء اتباع سبيل الشيطان وقد جـــاءت الآيات صريحة في بيان هذه الغاية من الصد عن سبيله ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ هود 18 20 .

يقول الفخر الرازي : "والعوج يُعنى به الزيغ والتحريف ، وتبغونها عائدة إلى السبيل ، والمعنى أي تلمسون لسبيله الزيغ والتحريف بالشبه التي توردونها"[1].

[1] الرازي: **التفسير الكبير** (8 /157).

وقال أيضاً : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ الأعراف: ٤٥. يقول ابن كثير: "أي يصدون الناس عن اتبـــاع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ، ويبغون أن تكون سبيل الله معوجة غير مستقيمة حتى لا يتبعها أحد"[1].

و قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ هود: ١٩ وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ إبراهيم: ٣. إنها غاية أكيدة لدى الكافرين أن يصدوا المؤمنين عن سبيل الله قاصدين أن يبقى سبيل الله غير قائم بسبب قلة سالكيه لما فيه من شكوك وشبهات ألقاها أعداء الله الصادون .

المطلب الثالث : عاقبة الصد عن سبيل الله:

مما لا ريب فيه أن الصادين عن سبيل الله قد ناصبوا الله ودينه ورسوله والمؤمنين العداء في الدنيا والآخرة وبذلوا في ذلك الجهد والمال والوقت وعمدوا الى الوسائل التي تساعدهم في ذلك بغض النظر عن نوعها ، لذا لا بد أن تكون عاقبة أمرهم خسراً ، ويذوقوا السوء والعذاب العظيم في الدنيا والآخرة بسبب ما فعلوا ، وقد توعدهم الله عز وجل وبشَّرهم بسوء العذاب في الدنيا والآخرة ،حيث تهددهم الله بذلك في أكثر من آية ، وجعل عذابهم أليماً عظيماً مهيناً مضاعفاً، قال تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الأنفال: ٣٤ هذا عذاب عاجل في الدنيا ، وينتظرهم العذاب الآجل يوم القيامة .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج: ٢٥ ، وقولـــه : ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة: ٣٤ ، وأما مضاعفة العذاب فذلك في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ النحل: ٨٨.

---

[1] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** (2 /346).

ثم بيّن تعالى أن هذا العذاب بعد حشرهم إلى جهنم ، قال سبحانه : ﴿ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٦ وبيّن سبحانه أن الذهاب إلى جهنم ليس للنزهة وإنما للتسعير في نارها ، قال تعالى : ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ٥٥ ، ولا شك أن هذا العذاب المؤلم والمضاعف في نار جهنم هو سوء العاقبة الذي يناله كل مفسد صد عن سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦.

ونظراً لهذا الإثم الكبير ، إن ماتوا وهم عليه ، دون توبة صادقة ، وعمل صالح فإن الله لا يغفر لهم هذه الجريمة ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ محمد: ٣٤. يقول الزحيلي : "إن الذين جحدوا توحيد الله ، ومنعوا الناس عن دين الله تعالى واتباع رسول الله"، وماتوا وهم مصرون على الكفر فلا مغفرة لهم ، بل إنهم معاقبون في النار"[1].

ومثلها قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ إبراهيم: ٣، فقد وصف الله عز وجل ضلالهم بالبعد دلالة على زوال انقطاعه.

يقول الفخر الرازي : "من صفات الكفار الصادين الضلال البعيد ، وذلك لأنهم في غاية البعد عن طريق الحق ، فإن شرط الضدين أن يكونا في غاية التباعد ، ويكون المراد من الضلال الهلاك ، والتقدير : أولئك في هلاك يطول عليهم فلا ينقطع ، وأراد بالبعيد امتداده وزوال انقطاعه"[2].

---

[1] الزحيلي: د وهبة بن مصطفى ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، دار الفكر المعاصر دمشق،**ط:2** 1418 هـ (133/26)

[2] الرازي: **التفسير الكبير**(19 /79).

وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم حكم الله على هذه الأعمال الضالة الصادرة عن الصادين بالحبوط، وهو الضياع وعدم الانتفاع بها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ محمد: ٣٢ .وهكذا نرى كيف يكون ضلال الأعمال وحبوطها وعيداً من الله للصادين عن سبيله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٦ ، فالكفار في زماننا ومَنْ والاهم ينفقون الأموال والثروات لأجل محاربة الإسلام والمسلمين ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يُغلَبون ، ثم إلى جهنم يُحشَرون فتعود أموالهم عليهم وبالاً وحسرات.

وحرم الله عليهم طيبات الدنيا عقوبة لهم بسبب صدهم ، قال تعالى : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾ النساء: ١٦٠.

يقول الزمخشري : "والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه ، وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة ، والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله : "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر" وحرمت عليهم الألبان ، وكلما أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها ، "وبصدهم عن سبيل الله كثيراً" ناساً كثيراً ، أو صداً كثيراً" [1].

وأولئك الذين بطروا ودفعهم بطرهم إلى الصد عن سبيل الله الله يحيط علماً بما يفعلون لا يخفى عليه شيء من تدبيرهم ، ومن سنته سبحانه أنه يمهل ولا يهمل ، لذلك نهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم فيصيبهم ما أصابهم ،قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ الأنفال: ٤٧ . ولكن كثيراً من خلق الله لا يعلمون سنة الله مع الكافرين الصادين ، ولو عرفوها ما وقعوا فيها ، وما فعلوا فعلاً يُعَرِّضهم لعذاب الله تعالى .

---

[1] الزمخشري: **الكشاف** (581/1)

وتوعدهم الله بالسوء واضطراب أقدامهم أي اضطراب الإيمان في قلوبهم، فتزل أقدامهم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها [1] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النحل: ٩٤، أي أن ذلك الوعيد إنما هو بسبب صدكم عن سبيل الله .

ثانياً: تشبيهه _عز وجل_ لهم بالأحبار والرهبان في الكسب الحرام وأكل الأموال بالباطل في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ التوبة: ٣٤.

[1] النسفي، **تفسير النسفي** (269/2).

الفصل الثالث

أعمال أهل الحق الموجبة للعاقبة

المبحث الأول : التواضع

المبحث الثاني : الإحسان في العبادة

المبحث الثالث : عدم اتباع خطوات الشيطان

المبحث الرابع : الأمل بالفرج

الفصل الثالث

أعمال أهل الحق الموجبة للعاقبة

أهل الحق الذين ثبتوا على صراط الله المستقيم؛ لهم عاقبة طيبة جزاءً بما صبروا في سبيل رفع لواء الله تعالى، فهم بذلوا أموالهم وأنفسهم حتى يرضى الله عنهم، فبشرهم رب العالمين بالتمكين في الأرض وبالرضوان والمغفرة في الدنيا والآخرة، وجنة عرضها السماوات والأرض بعد أن تقوم القيامة ويقف الخلق أمام الحكم العدل.

المبحث الأول

التواضع

إن التواضع من صفات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الذين عرفوا الحق فاتبعوه والباطل فاجتنبوه ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة فإنه على المسلم العاقل البالغ لزوم التواضع ومجانبة التكبر ليرفعه الله في الدنيا والآخرة والتواضع في حقيقته هو بذل الاحترام والعطف والمجاملة لمن يستحق ذلك فالتواضع دليل على شموخ النفس وعلو الهمة وهو سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمال وهو خُلُق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد و ينأى به عن الكبر والتعالي[1].

المطلب الأول : معنى التواضع وأنواعه

جاء في لسان العرب: التواضع: التذلل [2]. والتَّواضُع هو:" ترك التَّرؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التَّعظيم، والزِّيادة في الإكرام، وأن يتجنَّب الإنسان المباهاة بما فيه مِن الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرَّز مِن الإعجاب والكِبْر "[3].

---

[1] الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد: **سوء الخلق، مظاهره أسبابه علاجه**. ط (2). دار ابن خزيمة،لا يوجد سنة نشر. (123/1).

[2] ابن منظور: **لسان العرب**. (396/8).

[3] الجاحظ: **تهذيب الأخلاق**. (25).

وقيل هو:" رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. وهو وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره ".[1]

والتواضع فضيلةٌ عظيمة، يكفي فيها قول الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨ وخفض الجناح تعبير بلاغي يراد به لين الجانب والتواضع كما " أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ "[2].

الفرع الأول: أنواع التواضع ومظاهره

التواضع للخلق نوعان[3]:

الأول : محمود وهو ترك التطاول على عباد الله.

والثاني : مذموم وهو تواضع المرء لصاحب الدنيا في دنياه. فالعاقل يلزم التواضع المحمود ويترك التواضع المذموم بكل حال .

والتواضع لله عز وجل نوعان:

أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يقوم بشيء من الطاعات غير معجب بعمله بل يرى نفسه مقصراً في حقوق الله وأن الله تعالى هو الذي تفضل عليه بذلك.

والثاني: احتقار العبد نفسه وتقصيره في محاسبتها فيما لها وما عليها من حقوق وواجبات.

---

[1] الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ)، **الذريعة إلى مكارم** الشريعة **تحقيق :** د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار السلام القاهرة 1428 **:**هـ - 2007 م ص(196).

[2] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين(المتوفى: 671هـ) **الجامع لأحكام القرآن** تحقيق :أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية القاهرة ،**ط:2** 1384هـ - 1964 مص(57/10).

[3] آل جار الله، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم: **تذكير البشر بمدح التواضع وذم الكبر بفضل التواضع**. لا يوجد معلومات نشر، ص(5).

الفرع الثاني: علامات المتواضع [1] **:**

1 المعاملة الطيبة والرفق بالمسلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤. فإن حسن الأخلاق والتواضع كلها مأخوذة من سيرة النبي محمد ﷺ فينبغي أن نقتدي به ومنه ينبغي أن نتعلم.

2 القصد في المشي: قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ الفرقان: ٦٣ فإن الله سبحانه وتعالى يعلمنا في كتابه الكريم كيفية التخلق بالأخلاق الحميدة من خلال النصوص القرآنية المباركة بدليل قوله تعالى﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ لقمان: ١٨. ينبغي للمسلم التخلق بأخلاق القرآن والتواضع لله، وقد كرَّس النبي ﷺ خلق التواضع بمنهج عملي محذراً من تركه، فقد ورد عن ابن عمر أنه قال :"سمعت رسول الله ﷺ بأذنيَّ هاتين يقول: من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة"[2].

المطلب الثاني : عاقبة التواضع

إن التواضع لله وخفض الجناح للمؤمنين من شيم الصالحين المتبعين، وإن الكبر والتكبر من أعمال الجاهلين والكافرين والجبابرة المتغطرسين، وإن عاقبة المتواضعين في القرآن الكريم تتمثل في الأمور الآتية:

---

[1] انظر: المقدسي: **منهاج القاصدين**. (42/2). و الخادمى : محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الحنفي (المتوفى: 1156ه **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية** مطبعة الحلبي بدون طبعة 1348هـ (113/6-114) . و الغزالي **:** أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ) **إحياء علوم الدين** . دار المعرفة بيروت : (339/3).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**. (1652/3).

أولاً : محبة الله عز وجل للمتواضعين فالتواضع من موجبات حسن العاقبة فالله تعالى يختم بالعاقبة الحسنة لمن يتواضع، وكان الرسولُ ﷺ قدوةً حسنةً في التواضعِ يُخالِطُ الضعفاءَ والمساكينَ ويجالسُهم ويأمر أصحابَه بالتواضُعِ ويرغِّبُهم فيه، و من تركَ الكِبْرَ وتواضعَ لله رفعهَ الله، وعاقبةَ التواضعُ لله الجنَّةُ . قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ الأعراف: ٤٨ - ٤ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه"[1].

فالمسلم يتواضع في غير مذلة ولا مهانة، والتواضع من أخلاقه أما الكبر فليس له، ولا ينبغي لمثله، إذ سُنَة الله جارية في وضع المتكبرين. قال صلى اله عليه وسلم: " حق على الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه "[2].

وقال تعالى في الثناء على تواضع المؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤.

وأمرنا رسول الله ﷺ بالتواضع فقال:" إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغ أحد على أحد "[3].

ثانياً : النجاة من عذاب الله يوم القيامة ودخول الجنة :

فقد جعل الله الجنة جزاء للمتواضعين، وقال فيهم ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ ﴾ القصص: ٨٣ وحذر الرسول ﷺ من الكبر

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**. رقم الحديث (2588) (2001/4)..

2 البخاري: **الجامع المسند الصحيح**. رقم الحديث(2872). (32/4).

[3] مسلم: **صحيح مسلم**. (2198/4).

فقال:" لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء "[1] وقال ﷺ:" من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان "[2].

ثالثا : بشرهم الله بالخير ، فيجب على كل مسلم عندما يسمع كلام الله ويسمع هذه الأحاديث المباركة أن يقتدي بسيد المتواضعين الرسول محمد ﷺ لكي ينجو من عذاب الله ويحشره الله مع زمرة المتواضعين لله . وكيف يرضى مسلم بدار الهوان ويترك عز الدنيا والآخرة الذي وُعِدَ به المتواضعون المخبتون ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الحج : ٣٤ - ٣٥ والمخبت : الخاضع لربه، المستسلم لأمره المتواضع لعباده[3].

رابعاً: محبة الناس للمتواضعين، إن صفة التواضع وخفض الجناح تجعل المسلم محبوباً في قومه وبيته وذا أثر فيهم ويكسب الألفة والمحبة قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: ٦٣ .

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**. رقم الحديث (3) (231/3) .

[2] ابن حنبل، أحمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.. رقم الحديث (5995). (200/10) .قال الشيخ الألباني: رواه الطبراني في الكبير واللفظ له، ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم.

[3] السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى 1420هـ - 2000 م،(538).

المبحث الثاني

الإحسان في العبادة

العبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة "[1]. وهي تتضمن غاية الذل والحب، إذ تتضمن غاية الذل لله تعالى مع المحبة له وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل عليهم السلام جميعاً وهو ثابت من ثوابت رسالاتهم عبر التاريخ فما من نبي إلا أمر قومه بالعبادة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ وفي تأكيد هذا الشمول لمعنى العبادة يقول سيد قطب رحمه الله:" ليس في التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة، أو لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف، والمنهج الإسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة أولاً وأخيرًا "[2]، وإذا ما عرف العلماء العبادة بالخضوع الشامل، والطاعة الكاملة، فلا بد لنا من أن نلاحظ في تعريف العبادة بالنسبة للإنسان قيدًا خاصاً يميز خضوعه عن خضوع غيره من المخلوقات، فالكون كله بأملاكه وأفلاكه وجماداته وحيواناته خاضع لله عز وجل لا يخرج عن طاعته قيد أنملة، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت : ١١. وبناء على ما سبق يتضح لنا أن الحياة كلها يمكن أن تكون مسرحاً للعبادة مادام غايتها إرضاء الله تعالى بفعل الخير والكف عن الشر.

المطلب الأول : الغاية من العبادة وشروط قبولها

إن الباعث الأساس للعبادة هو استحقاق رضا الله تعالى فنحن نعبد الله جل وعلا لأنه مستحق للعبادة تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ومع ذلك يجب أن نعلم أن الله تعالى غني عن العالمين بذاته غنىً مطلقاً

---

[1] ابن تيمية: **الفتاوى الكبرى** (155/5)

[2] قطب: **في ظلال القرآن**. (277/4).

فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود بل كل ما في الوجود محتاج إليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥. وعليه فإن ثمرة العبادة إنما ترجع إلى الشخص العابد نفسه ، إذ هو المحتاج إلى الله تعالى والمفتقر إليه استعانة وتوكلا كما قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥.

ويشترط لجميع الأعمال حتى تصبح عبادات يثاب عليها أن تتوفر فيها الشروط الآتية[1]:

1_ أن لا تعبد إلا الله وهذا يعني الاخلاص و إصلاح النية لله تعالى وابتغاء مرضاته بذلك الفعل.

2 لا تعبد الله إلا بما شرع ، يعني أن يكون العمل مباحاً في ذاته أما إذا كان منهياً عنه فإن فاعله يأثم.

3 أن يؤدَّى ذلك العمل بإتقان وإحسان ، (فحينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان : " قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2].

4 أن يراعى فيه الضوابط الشرعية فيجتنب فيه الغش والظلم والفحش "واجتنبوا قول الزور" (الحج: 30).

5 أن لا يشغله ذلك عن واجب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ المنافقون : ٩.

---

[1] **انظر: ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد.** (46/1). لا يوجد معلومات نشر.

[2] البخاري: **الجامع المسند الصحيح.** (19/1).

المطلب الثاني : عاقبة الاحسان في العبادات

الإحسان: الإتقان وإجادة الصنع، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ السجدة: ٧. والإحسان: الإتيان بالمطلوب شرعاً على وجه حسن. " تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود "[1].

ومن رحمة الله وفضله أن جعل الجزاء من جنس العمل، ومن ذلك أنه جعل ثواب الإحسان إحساناً، كما قال سبحانه ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠ فإن أحسن العبد العمل أحسن الله الجزاء، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه العزيز عاقبة المحسنين، وأن لهم أعظم جزاء . وأن الإحسان يعود عل المحسنين بالنفع في دنياهم وأخراهم، ونلخص عاقبة المحسنين في نقاط:

أولاً: محبة الله عز وجل لهم: قال الله تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥.

وقال سبحانه: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٨.

ثانياً : الفوز بالجنة والنظر إلى وجه الله عز وجل : قال سبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ يونس: ٢٦، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل[2].

يقول الشيخ عبد المحسن العباد:" ولا يخفى ما بين هذا الجزاء وذلك العمل الذي هو الإحسان- من المناسبة، فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، جزاهم على ذلك العمل النظر إليه عياناً

---

[1] ابن حجر: حمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي **فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه :**محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة - بيروت، 1379(120/1).

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير و التنوير**. (146/11).

في الآخرة ، وعلى العكس من ذلك الكفار الذين طبعوا على قلوبهم فلم تكن محلًا لخشيته و مراقبته في الدنيا، فعاقبهم الله على ذلك بأن حجبهم عن رؤيته في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥ "[1].

ثالثاً : الهداية والرشاد في الدنيا والآخرة ، يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩ .

رابعاً : وكذلك يعود الإحسان على المؤمن بالحكمة والرشاد كما في قصة موسى كليم الله عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ القصص: ١٤.

خامساً : الرحمة والطمأنينة ، يقول عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١٢. وقوله سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ٥٦.

[1] العباد، عبد المحسن: **ثلاث كلمات في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة**. (13).

المبحث الثالث

عدم اتباع خطوات الشيطان

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ النور: ٢١.

هذه الآية الكريمة اشتملت على أمورٍ ثلاثة[1]: الأمر الأول: نهي من الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين عن اتباع سبيل الشيطان الرجيم. والأمر الثاني: بيان العاقبة التي ينتهي إليها كل من اتبع الشيطان في أوامره وسبُله. وأما الأمر الثالث الذي اشتملت عليه الآية الكريمة فهو بيان أن الله تبارك وتعالى هو المتفضل على عباده، يرحم من يشاء بهدايته، ويزكي من يشاء بفضله سبحانه وتعالى.

المطلب الأول : نهي الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين عن اتباع سبيل الشيطان

أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ النور: ٢١ ، وهذا النداء من الله تبارك وتعالى استفتحه بهذه الخصلة العظيمة التي تدل على شرف الإنسان وعلوِّ مكانته عند الله عز وجل وهي صفة الإيمان بالله تبارك وتعالى وفي استفتاح هذا النهي بهذا النداء تشويق لأهل الإيمان أن يلتزموا شرع الرحمن، وقد ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآية بنداء المؤمنين ليشد انتباههم، وليصغوا لما يريد إرشادهم إليه، ثم أعقب هذا النداء بذِكر المقصود، وهو التحذير من اتباع خطوات الشيطان، وكأن في هذا إشارة إلى أن المؤمنين هم الهدف الأول لتصويب الشيطان نزغاته ووساوسه نحوهم؛ فينبغي أن يكونوا أكثر الناس حذراً منها. قد خص الله عز وجل أهل الإيمان في هذه الآية الكريمة ونهاهم عن اتباع سبيل الشيطان، وجاء في آية

---

[1] الشنقيطي: محمد بن محمد المختار ، **تفسير سورة النور** (5/6)

أخرى النهي لعموم الناس في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾ البقرة: ١٦٨ فنهى الله تبارك وتعالى الناس عموماً والمؤمنين خصوصاً، فشمل النداء عموم الناس مؤمنهم وكافرهم حينما قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ).

وينبغي للمؤمن كلما أحس في قلبه بوسوسة من الشيطان تدعوه إلى معصية الرحمن أن ينكفَّ وينـــزجر ويطيع الله تبارك وتعالى ؛ إذ نهاه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ؛ عن متابعة هذه الوساوس والخطرات، ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً فقال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: {وأن هذا صراطي مستقيماً}. "[1] فكل من أطاع الشيطان إلى المعصية؛ خالف نهي الله تبارك وتعالى، وتعدَّى حدوده، وانتهك محارمه وهذه ليست من صفات المؤمنين، فالمؤمن الحق يصون نفسه من الوقوع في حبائل الشيطان ويقيها وساوسه.

المطلب الثاني : عاقبة اتباع خطوات الشيطان

بعد نهي الله عز وجل عن اتباع خطوات الشيطان؛ بيَّن عاقبة مَن اتبع خطوات الشيطان قال تعالى { وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } فذكر عاقبة من اتبع الشيطان أبلغ في زجر الناس عن متابعة الشيطان، بمعنى إذا أراد الإنسان أن ينهى صبياً أو يعلم جاهلاً ، فإنه ينبغي له أن يجمع في النهي بين أمرين : الأمر الأول أن يحدد له الشيء الذي ينهاه عنه. والأمر الثاني أن يبين له عاقبة الشيء الذي نهاه عنه. فذلك أبلغ في التربية والتوجيه والتعليم. وقد اشتملت الآية الكريمة على كِلا الأمرين، فحذرنا الله تبارك وتعالى من اتباع سبيل الشيطان، وأخبرنا عن العاقبة التي ينتهي إليها كل من اتبعه وسار على نهجه وارتضاه، فقال: (فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) هذا الأمر الذي يوجهه الشيطان إلى الإنسان إنما يوجهه

[1] ابن حبان، محمد: **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (18) مج. ط (2). بيروت: مؤسسة الرسالة. (1414هـ/1993م). ض(180/1). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

بالوسوسة، فهي سبيل الشيطان للإنسان، ولذلك إذا وقف الإنسان أمام معصية من المعاصي وجد في نفسه دعوة تدعوه إلى تلك المعصية، وبناءً على ذلك: فكل ما يجده الإنسان في نفسه من الدعوة إلى الحرام ينبغي أن يعلم أنه من الشيطان، وعلاج ذلك بيَّنه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٦ فمن أراد أن ينجو من هذه الأوامر التي يسوِّلها الشيطان لأوليائه، فما عليه إلا أن يستعيذ بالله عز وجل، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الرابع

الأمل بالفرج

حال المؤمن أنه لا ييأس ولا يقنط وإن أصابه الكرب ولحقه الهم وضاقت عليه السُبل، فَصِلته بالله تعالى زرعت في قلبه الثقة والاطمئنان، فهو يعلم أن الأمر بيد الله تعالى فهو مصرف الأمور كلها، وهو الذي يجعل بعد العسر يسرا، وبعد الضيق فرجا، والقرآن يزرع في نفوس المؤمنين روح الأمل والتفاؤل، وكيف ييأس المسلم وهو يقرأ تحذير القرآن من اليأس وينسبه الى الضلال والكفر ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦.فيعيش الإنسان مع الأمل في أموره كلها.

المطلب الأول : معنى الأمل وأسباب اليأس

الأمل هو الرجاء والاستبشار بفضل الله تعالى وجوده وكرمه[1]. وهو مادعا إليه رب العزة فقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر: ٥٣.

والأمل يدفع الإنسان دائمًا إلى العمل، ولولا الأمل لامتنع الإنسان عن مواصلة الحياة والصبر على مصائبها وشدائدها ولذلك قال الشاعر:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمال أَرْقُبُها ما أَضْيَقَ الْعَيْشَ لولا فُسْحَة الأمل[2]

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب زيد الدين الزّرعي: **تهذيب مدارج السالكين.** ط (2). بيروت: مؤسسة الرسالة. (1987م). (475/1).

[2] القائل: مؤيد الدين الطغرائي الأزراري، انظر: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله: **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تحقيق: عصام شعيتو. (2) مج. ط (1). بيروت: دار الهلال. (1987م). (187/1).

فالإنسان يصبر على ضيق العيش في الدنيا على أمل أن يفرِّج الله همومه، ويوسع عليه، ولولا ذلك لضاق الإنسان بمعيشته، يقول الله -سبحانه -: ﴿ وَلَا تَيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧ .

أما أسباب اليأس فعديدة، من أهمها[1]:

أولاً: ضعف الإيمان بالله تعالى وأنه الرب المدبر لكل شيء لاراد لحكمه ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ثانياً: الغفلة عن ذكر الله وتعلق القلب بالدنيا والابتعاد عن الله عز وجل وأداء الواجبات والعبادات وهجر القرآن ونسيان الآخرة والانغماس في الشهوات، فيواجه مشكلاته معتمداً على النفس اليائسة الضعيفة التي سرعان ما تنهزم أمام الشدائد والهموم ناسياً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٥٤.

ثالثاً: وزن الأمور بموازين الأرض لا بميزان السماء، فعلى الإنسان أن يستشعر قدرة الله في الأمور وحكمته في النوائب ، يقول الحق تبارك﴿ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾الطلاق: ٣ ويقول: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤٩.

رابعاً: استعجال الإنسان للأمور، قال تعالى في وصف الإنسان: " **وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً** " [الإسراء: 11]. فالمتعجلون هم أقصر الناس نفساً وأسرعهم يأسًا وذلك عندما لا تجري الأمور على هواهم أو حسب ما يشتهون، قال ﷺ:" **وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوَ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**"[2] فالاستعجال داء خطير وطريق إلى اليأس والقنوط. وكما قيل : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

---

[1] انظر: ابن قيم الجوزية: **مدارج السالكين**. (133/1). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (322/17).

[2] البخاري: **الجامع المسند الصحيح**. (201/4).

خامساً: التركيز على السلبيات دون الإيجابيات: إن الناس تكثر من ذكر المشكلات دون الحلول، والسلبيات دون الإيجابيات، والآلام دون الآمال فتصاب بالإحباط واليأس.

المطلب الثاني : عاقبة الأمل بالله

أولاً: التيسير والفرج

ينبغي للمرء أن لا ينسى وعد الله تبارك وتعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ الشرح: ٥ - ٦ وأن يتذكر دوماً قول الحق جلّ وعلا﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ الطلاق: ٤ فسنة الله تعالى أنه حين تشتد الأزمات وتتفاقم يأتي اليسر والفرج، كما أن المؤمن يحسن الظن بالله لأن أمره كله خير كما قال رسول الله ﷺ:" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "[1].

والأمر قد يكون في ظاهره شرًا، ثم تكون العاقبة خيرًا بإذن الله، فحادثة الإفك و فيها من الشناعة والبشاعة ما فيها، فإنها بنص القرآن: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾النور: ١١.

ثانياً: بشر الله عز وجل عباده المؤمنين في القرآن الكريم بالغلبة، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢١ ﴾ المجادلة: ، وبالنصر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ غافر: ٥١ وبالتمكين، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥ ﴾ النور: ، وبالمغفرة، قال تعالى:

[1] مسلم: **صحيح مسلم.** (2295/4).

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: .

هذا خطاب الله لعباده، فإذا كنت عبداً من عباد الله؛ فهذا النداء يخصك فلا يتسرب اليأس إلى قلبك فيدخل معه الكفر والعياذ بالله، لأنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون الذين لا يستشعرون رأفة الله وبره ورعايته. فأما القلب المليء بالإيمان، المتصل بالرحمن؛ فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يوسف: ، فإذا أصابك مكروه فقل: يا الله وإذا وقعت بك واقعة فقل: يا الله، وإذا مرضت فقل: يا الله، إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته، ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار.

الفصل الرابع

العاقبة الحسنة في القرآن الكريم

المبحث الأول : عاقبة المؤمنين

المبحث الثاني : عاقبة المتقين

المبحث الثالث : عاقبة الصادقين

المبحث الرابع : عاقبة الصابرين

الفصل الرابع

العاقبة الحسنة في القرآن الكريم

إن الله تعالى جعل هذه الدنيا دار ممر، والآخرة دار مستقر، فالعاقل من زرع التقوى ليحصد جنة الله تعالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فالله تعالى بيَّن سبل السلام ليسير الناس في هذا الركب الذي يوصلهم إلى بر الأمان، فمن اختار هذا الطريق كانت عاقبته خيراً لما صنعه بيديه، والله تعالى يعينه وييسر له طريق الهداية، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الليل:).

فمن أراد أن ينال عاقبة طيبة؛ فليسلك منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، حتى يفوز بالسعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

المبحث الأول

عاقبة المؤمنين

الإيمان من صفات أهل الحق التي تميزهم عن أهل الباطل، ولا تكاد تخلو سورة في القرآن الكريم من ذكر هذه الصفة، فهم قد رُفِعوا بصحبة محمد ﷺ ودفاعهم عنه، فعلى سبيل المثال حين بايع الصحابةُ النبيَّ ﷺ تحت الشجرة؛ مدحهم رب العالمين في كتابه فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:) ومدح عامة المؤمنين المتقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ (القمر:).

المطلب الأول : معنى الإيمان وصفات المؤمنين:

الإيمان كما جاء في كتب اللغة " مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن "[1]، وهو من " الأمن ضد الخوف "[2].

ويمكن تعريف الإيمان بأنه :" تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية "[3].

وقد منَّ الحق سبحانه على أصحاب المصطفى ﷺ في آية عظيمة واضحة، وهي عامة لكل من آمن بالمصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: ، فامتنان الله تعالى على المؤمنين بأن بعث إليهم هذا النبي

---

[1] الأزهري: **تهذيب اللغة**. (225/5).

[2] انظر: الجوهري: **الصحاح في اللغة**. (349/5).

[3] الأثري: عبد الله بن عبد الحميد: **الإيمان حقيقته خوارمه ونواقضه عند أهل السنة**. (10).

الأمي ﷺ من بيئتهم ومن جنس لغتهم، فكان حقاً أن يمدحهم الله تعالى في كتابه العزيز، لتضحيتهم من أجل أن ينالوا رضاه سبحانه، فأول من آمن من النساء خديجة رضي الله عنها، ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، وصحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يعذَّبون في سبيل الله، هؤلاء زكاهم الله تعالى.

قال الطبري:" ويزكيهم يعني يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما امرهم ونهاهم"[1].

وقد صف الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الصادقين، الذين هم أهل الإيمان والطاعة بصفات عدة ، ذكرها الله تعالى في سورة المؤمنون، حين قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (المؤمنون:)، وقد حثَّ الله عز وجل جميع المؤمنين للاتصاف بهذه الخصال، والتخلق بهذه الأخلاق، حتى يعيشوا حياة كريمة مباركة، وقد نالوا ثواب الله ورضوانه وجنته ونعيمه.

ويمكن إيجاز هذه الصفات في نقاط عدة:

أولاً: الخوف والوجل ومراقبة الله في جميع حركاتهم وسكناتهم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:).

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (369/7).

ثانيا: الثقة والطمأنينة، وحقيقتها التيقن، فالمؤمن الحق لا يرتاب في إيمانه ولا يقع في نفسه شك فيما آمن به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (الحجرات:).

ثالثاً: طاعة الله ورسوله ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (التوبة:).

رابعاً: الإخلاص والاعتصام بحبل الله، وقد وعدهم الله أجراً عظيماً إن هم أخلصوا واعتصموا، قال عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ النساء: .

خامساً: الأخوة والتآلف قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1].

سادساً: الصبر فعباد الرحمن المؤمنون هم مبتلون ممتحَنون في دينهم ودنياهم، والبلاء كفارة لذنوبهم وخطاياهم ورفعة لهم، قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:).

[1] البخاري ، **الجامع المسند الصحيح** (12/1).

المطلب الثاني: عاقبة الإيمان

من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه امتن على عباده المؤمنين بنعيم الرضوان بعدما امتثلوا أمره سبحانه وتعالى، فقدموا الغالي والنفيس في سبيل نيل رضاه سبحانه وتعالى، فكانت عاقبتهم في القرآن الكريم على النحو الآتي:

أولاً: الجنة

الذين آمنوا إيماناً صادقاً وعملوا صالحاً؛ نالوا مرتبة في الجنة هُيِّئت لهم كما يُهَيأ المنزل ليكون سكناً لأصحابه، فهم لا يبغون عن هذا المنزل حولاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾ (الكهف:). وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (التوبة:)، تحدثت الآيات عن المؤمنين الصادقين وما أعده لهم من نعيم مقيم فيخبر تعالى بما أعده للمؤمنين والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في الجنة ماكثين فيها أبداً مقيمين في مساكن حسنة البناء ، طيبة القرار لا يزول عنهم نعيمها ولا يفنى[1] .

ثانياً: الاستخلاف في الأرض

يقول تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (النور:) أي وعد الله المؤمنين المخلصين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وعدهم بميراث الأرض ، بأن يجعلهم خلفاء متصرفين

[1] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (175/4).

فيها كما يتصرف الملوك في أملاكهم، كما استخلف المؤمنين قبلهم فملّكهم ديار الكفار وهذا وعدٌ ظهر صدقُه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة [1].

ثالثاً: النصر

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد:) وعد الله المجاهدين المؤمنين بالنصر حيث يلقي في قلوبهم نور الإيمان وفي نفوسهم التقوى، ويبعث في أرواحهم الهدوء والطمأنينة، ثم يثبتهم أمام عدوهم، هذا جزاء جهادهم وإيمانهم الراسخ، فأعمال المؤمنين مباركة، حينها وجب على المؤمنين الذين تميزوا بالثبات على الحق أن يداوموا عليه، فإن نصر الله يأتيهم إذا استمروا على نصرة الحق والثبات عليه، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الروم:).

ومن الأمثلة على نصر الله عز وجل للمؤمنين في مواطن كثيرة في غزواتهم مع الرسول ﷺ يوم حنين، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾ (التوبة:) بيَّن الله تعالى للمؤمنين أن النصر من عنده وأن الكثرة لا تغني شيئاً ولا تجدي في ساحات المعركة إذا لم يتسلحوا بسلاح العقيدة والإيمان.

كذلك ظهر نصر الله للمؤمنين في غزوة الأحزاب قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾

[1] انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (208/19).

(الأحزاب:) ففي الآية الكريمة يُبيِّن الله تعالى حال المؤمنين عند تجمع الأحزاب كيف أنهم لم يتزحزحوا بل قبلوا ذلك بقلب ثابت ويقين راسخ.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ " أي ذلك الحال والضيق والشدة ما زادهم إلا إيماناً بالله (وتسليماً) أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله "[1].

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (392/6).

المبحث الثاني

عاقبة المتقين

إن الله سبحانه قد وعد المتقين مقاماً رفيعاً، نالوه بما قدموا لينالوا رضاه سبحانه وتعالى، فكانت عاقبة هؤلاء طيبةً جعلتهم يعيشون حياة مليئة بالسكينة في جنان الله تعالى، فمن رضي لنفسه أن يكون من المتقين؛ فلا غرو أن يكون مقامه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

المطلب الأول :معنى التقوى

قال ابن منظور: " وقاه الله وقاية صيانة، ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى"[1].

وقال ابن رجب رحمه الله :" أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه "[2].

فالتقوى حفظ النفس مما يؤثم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي تبعا لشرع النبي صلى الله عليه وسلم .بمعنى أن يجعل العبد بينه وبين ربه وقاية عملية تقيه غضبه وسخطه وعقابه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المعاصي.

والناظر في القرآن الكريم يجد أن كلمة (التقوى) تدل على أمور عدة:

أولاً: الخشية والهيبة قال تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ (البقرة:) أي " فاخشوني "[3].

يقول ابن كثير:" التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله ، والتقوى أن تترك معصية الله مخافة عذاب الله على نور من الله "[4].

ثانياً: الطاعة والعبادة ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (آل عمران:)

(حق تقاته) " أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم "[5].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**. (377/15).

[2] ابن رجب: **جامع العلوم والحكم**. (158/1).

[3] الثعلبي: **الكشف والبيان**. (187/1).

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (244/1).

[5] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**.(87/2).

ثالثاً: التنزه عن الذنوب ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النور:).

يقول ابن كثير " أي فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الذين فازوا بكل خير وآمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة "[1].

المطلب الثاني : عاقبة التقوى

لقد جعل الله عز وجل أهل التقوى من أوليائه، فهم المجتهدون في العبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس:) وجعل الله تعالى التقوى ميزان التفاضل بين الناس، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (الحجرات:) ومن اتقى الله حق تقاته؛ جمع الفضائل كلها فالتقوى مخرج من كل ضيق ومصدر للرزق، حيث وعد الله المتقين في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ الطلاق: وسهَّل الله له أموره ويسَّر له الأسباب، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ (الطلاق:4

ومن عاقبة التقوى على المؤمنين:

أولاً : العلم النافع وهو من أعظم ما يكافئ به الله عز وجل ويجازي به المتقين، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ** ﴾ (البقرة:) فيعلمكم الحلال والحرام ومصالحكم وحفظ أموالكم وما أمركم وما نهاكم عنه، ويعلمكم كل ما تحتاجون إليه) **(وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] البقرة:282**

ومن أسباب نقصان العلم ونقص الحفظ وذهاب المسائل وعدم انفتاح النفس للعلم وعدم الحماسة للعلم؛ المعاصي، فهي تصد النفس عن العلم.

قال الشافعي :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فارشدني الى ترك المعاصي[2]

ومن أسباب تحصيل العلم وانفتاح الذهن والقلب والحماس له؛ التقوى.

---

[1] ابن كثير :**تفسير القرآن العظيم** .(3 / 378).

[2] الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: **المستطرف في كل فن مستظرف**. (2) مج. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1986م). (52/1).

ثانياً : البصيرة حيث تكون للمتقين بصيرة وفرقان يفرّقون به بين الحق والباطل ويكون لهم نور من ربّهم يضيء دربهم فيحذرون الشر ويرجون الخير ويوفَّقون، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الأنفال:).

ثالثاً : محبة الله قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ ﴾ (آل عمران:)، وإذا أحبه نادى الله تعالى جبريلَ أن يحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يحبه أهل الأرض قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ (مريم:) أي مودة منه ومن الملائكة وفي قلوب العباد.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ"[1]

رابعاً : النصر والتأييد نصرة الله للمتقي وتأييده له وتسديده، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:)، والمعيّة هذه معية نصرة وتأييد وتسديد، وهو سبحانه وتعالى أعطاها للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه:) ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ (الشعراء:) فهو معه فلا يخاف.

خامساً : البركة يُرزَق بركات من السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (الأعراف:)، وهذا معناه أنه وسّع عليهم في الخير ويسّره لهم بسبب التقوى، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ (الجن:)، وكذلك إذا لم تحصل التقوى في نفس البشر؛ يظهر الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي

[1] البخاري **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، رقم الحديث(7485) (142/9)

عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم:) وتنزل الأمراض والأوجاع في أبدانهم ومعيشتهم، وتُنتزع البركة بالمعصية.

يقول السعدي:" استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها "[1].

سادساً : الحفظ من كيد الأعداء، فإن الإنسان لا يخلو من عدو حاسد، قال تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (آل عمران:) فيدفع الله عنه شر الأشرار وكيد الفجار وذلك بالتقوى.

سابعاً : حفظ الأولاد ، قال تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ (النساء:)، فأرشد الله الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف إلى سلوك سبيل التقوى في سائر شؤونهم لكي يحفظ الله أبناءهم، ويُغاثون بالرعاية الإلهية، ويظهر حفظ الله تعالى للأبناء بصلاح الآباء، ففي قصة الغلامين في سورة الكهف عبرة وعظة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف:)، والآية نبهت على فضل الأب في تأثيره على أبنائه من خلال صلاح دينه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ فَحَفِظَ الله الأبناء بصلاح ذلك الأب.

ثامناً : قبول العمل ، قال تعالى: ﴿ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ ۗ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ (المائدة:)، أجاب بها هابيل أخاه قابيل الذي قتله[2].

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (643).

[2] انظر الشربيني: **السراج المنير**. (296/1).

تاسعاً : النجاة من عذاب الدنيا ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (فصلت:).تأتي هذه الآية تعقيبا على إهلاك الله عز وجل لقوم هود بعد أن استحبو العمى والضلال {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون }.والهوان أنسب عاقبة. فليس هو العذاب فحسب، وليس هو الهلاك فحسب ولكنه الهوان جزاء على العمى بعد الإيمان.{ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون }..أي نجيناهم من هذا العذاب الهون الذي لحق قوم ثمود.[1]

عاشراً : الفوز بالجنة والنجاة من النار ومرضاة الرب عز وجل وتكفير السيئات ، وهذا هو قمة المطلوب وأعلى مراد المسلم أن يدخله الله عز وجل الجنة، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (الطلاق:)، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم:) والعزة والفوقية فوق الخلق يوم القيامة غير عز الدنيا، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة:)، فيورَّثون الجنة بالتقوى، قال الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ (مريم:) وهؤلاء المتقون لا يذهبون إلى الجنة مشياً، إنما يذهبون ركباناً موقَّرين مكرَّمين، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (ق:) وقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (مريم:)، والوفد يُكرم ويُذهب بهم إلى ملك الملوك سبحانه وتعالى، فيدخلهم جنته، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ (النبأ:).

الحادي عشر: الحشر مع الأحباب والأصحاب، في يوم يتخلى المرء عن أمه وأبيه، ولا يتعرف أي امرئ على رفيقه، ويكون كل همه نفسه فقط، عندئذٍ لا ينفعه إلا تقواه، ويجمع الله تعالى المتقين الذين كانوا يصاحبون أنفسهم في الدنيا فيُحشرون مع بعضهم فيؤنس بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:).

---

[1] أنظر قطب: **الظلال** (292/2).

المبحث الثالث

عاقبة الصادقين

الصدق هو أشرف الفضائل النفسية، والمزايا الخُلُقية، لآثاره المهمة في حياة الفرد والمجتمع فهو زينة الحديث ورواؤه، ورمز الاستقامة والصلاح، وسبب النجاح والنجاة، لذلك مجدته الشريعة الإسلامية، وحرضت عليه، قرآناً وسنة.

المطلب الأول : معنى الصدق وأنواعه

الصدق خلاف الكَذِب، سمِّيَ بذلك لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذِبَ لا قُوَّة له، بل هو باطلٌ[1].

وتنوعت عبارات السلف في تعريف الصدق، والقصد واحد، فمنها:

هو الوفاء لله بالعمل. وقيل: استواء السر والعلانية. وقيل: القول بالحق في مواطن الهلكة. وقيل: ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب[2].

أما أنواع الصدق فكثيرة، فقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض، فإن كان صادقًا في الجميع فهو الصِّدِّيق حقًا[3].وأهم هذه الأنواع :

أولاً: الصدق في الإيمان

وصف الله تعالى المؤمنين بالصدق ، فقال الله تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات: 15)، فهذه الآية مبيِّنَة لحقيقة الإيمان الكامل، والتصديق المحض بالله تعالى، فالصدق دعوى كبيرة في كل شيء يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك دعوى الإيمان، الذي عليه مدار السعادة، فمن ادعاه وقام بواجباته ولوازمه فهو الصادق المؤمن حقًا، ومَن لم يكن كذلك

---

[1] انظر: الرازي: **مختار الصحاح**. (1505/4)، وابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. (339/3). وابن منظور: **لسان العرب**. (24/4 - 25).

[2] انظر: ابن القيم الجوزية: **مدارج السالكين**. (274/2). و الجرجاني: **التعريفات**. (132).

[3] انظر الغزالي: **احياء علوم الدين** 388- 391

فليس بصادق في دعواه، وليس لهذه الدعوى فائدة، فإن الإيمان في القلب لا يَطّلع عليه إلا الله تعالى[1].

ثانياً: الصدق في المحبة

لمحبة الله تعالى حقيقة، والصادق فيها هو المحقق لها، البالغ غايتها، وإن لتلك الحقيقة علامات ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران: 31).

قال ابن كثير :" هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله "[2].

ثالثاً: الصدق في القول

دلت الآيات القرآنية على وجوب الصدق في القول قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأحزاب: 70)، ففي هذه الآية دلالة على حاجة المجتمع الإنساني إلى الصدق في القول، فهو الخُلق الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، لأنها تعتمد على صدق الكلمة فإن لم تكن الكلمة معبرة تعبيرًا صادقًا عما في نفس قائلها لن تكون هناك وسيلة أخرى كافيةٌ يُعرف فيها معادن الناس، ويُعرف فيها حاجاتهم وحقيقة أخبارهم، ولولا الثقة بشرف الكلمة وصدقها لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن يُتصور مجتمعٌ قائمٌ على الكذب ليتبين مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده[3].

رابعاً: الصدق في العمل:

حتى يكون الإنسان صادقاً لا بد أن يتوفر في أي عمل يقوم به أمور أهمها استواء السريرة والعلانية في الحق، بأن يكون الباطن مثل الظاهر، فتكون الأعمال الصالحة الظاهرة التي يقوم بها المسلم ترجمة صادقة لما هو مستقر في باطنه، وأن يكون حرصه على هذه الأعمال السرية

---

[1] انظر: السعدي: **تفسير الكريم الرحمن**. (802).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (358/1).

[3] الميداني **:** عبد الرحمن حبنكة ، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. (185/1).

التي لا يعرفها إلا الله تعالى أكثر من حرصه على الأعمال الظاهرة، فبهذا تكون إرادة العبد من عمله وجهَ الله تعالى، ويكون إخلاصه فيه امتثالاً وانقيادًا[1] لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ (البينة: 5).

المطلب الثاني :عاقبة الصدق

إن الصدق ليس مجرد مطابقة الفعل للقول بقدر ما هو التزام تام بأداء الأمانة والقيام بالمسؤولية ويكفي للصدق فضيلة أن الصديق مشتق منه[2] وقد وصف الله تعالى أبا الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ (مريم: 41).

وللصدق آثار وعواقب كلها خير سواء ظهرت عواقبه في الدنيا فعاش المؤمن في طمأنينة وسعادة، أو في الآخرة فنال رضا الله بدخول الجنة ولهذا يمكن تفصيل عاقبة الصدق في ما يأتي:

أولاً: دخول الجنة

قال تعالى : ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ ﴾(الأحزاب 35]، وقال ﴿ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾ [آل عمران : 15 -17] .

---

[1] انظر: الغزالي: **إحياء علوم الدين**. ص(390/4). انظر: عارف، مذكر محمد، **الصدق في القران الكريم**. (226).

[2] انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (193/10).

ثانياً: حصول البركة العاجلة والآجلة

من أعظم الأمور التي تجلب البركة الصدق في المعاملات سواء كان في البيع والشراء أو غيرها من المعاملات الأخرى، قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:)، فمن البِرِّ أن يؤتي المسلم المال على حبه صادقاً من قلبه مبتغياً وجه الله تعالى، فلا شك أن الصدق جالب للخير والبركة وأن الكذب والتدليس سبب لمحق هذه البركة، يقول الله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الاعراف96).

يقول سيد قطب: "إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة.. بركات تنمي الحياة وترفعها في آن. وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال"[1].

والنبي ﷺ بشَّر ببشرى عظيمة لكل من يكون صادقاً في المعاملة مع غيره، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما "[2].

ثالثاً: الطمأنينة والراحة النفسية

إن الصدق مع الله تعالى ومع النفس ومع الآخرين يبعث راحة للبال وطمأنينة للضمير في حياة الإنسان على عكس الكذب الذي يبلبل الفكر ويوخز الضمير، فمن آثار الصدق ثبات القدم، وقوة القلب، ووضوح الكلام، فيرفع الله تعالى مقامه في الدنيا ويجعل له نصيراً، يقول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ (مريم:) فعن أبي الحوراء

---

[1] قطب: سيد ، **في ظلال القرآن**. (1339/3- 1340).

[2] البخاري: **الجامع المسند الصحيح**. ص(58/3).

قال: قلت للحسن بن علي : ما حفظتَ مِن رسول الله ﷺ؟ قال: حفظتُ مِن رسول الله ﷺ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ ريبة "[1].

رابعاً: عِظَم القَدْر، وعُلُو المنزلة في المجتمع

إن الذي يتحلى بالصدق يَعْظُم قَدْرُهُ، وتعلو منزلته بين الناس؛ لاعتقادهم أنه ما فعل ذلك إلا عن حسن سيرة ونقاء سريرة وكمال عقل، كذلك فإن الصادق ينال الثناء في الدنيا، وقد أمر سبحانه أهلَ الإيمان بأن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: 119] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: 69]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: 33] فالذي جاء بالصدق، هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في هذه الثلاثة.

خامساً: حسن الخاتمة في الآخرة، والثناء على صاحبه في الملأ الأعلى

أخبر سبحانه وتعالى أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه يوم القيامة إلا صدقه قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ (المائدة119).

وبَشّر الله سبحانه وتعالى عباده بأن لهم قدم صدق ومقعد صدق، فقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس: 2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: 54 55]

وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً،

---

[1] الترمذي: **سنن الترمذي**. ص(668/4). كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب حديث (2518). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. رقم الحديث (3378) ص(637/1).

وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً "[1].

سادساً: إدراك الأجر والثواب

من عِظَم فضل الله على المسلم حصوله على الثواب العظيم بمجرد نية صادقة حتى وإن عجز عن العمل قا النبي ﷺ:" مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ "[2].

فالتزام المؤمن بما أوجب الله عليه من تحري الصدق تعبداً يكسبه العون والثبات من الله تعالى في الدنيا والآخرة، قا الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس:).

ويقول تعالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الاحزاب 24) أي بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم[3].

---

[1] البخاري **الجامع الصحيح** كتاب ،باب قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين رقم الحديث5743 (2261/5).

[2] صحيح مسلم ، كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، رقم الحديث 1908 (1517/3)

[3] الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ،**مفاتيح الغيب** (12/342)

المبحث الرابع

عاقبة الصابرين

إن من سنة الله تعالى في الابتلاء أن يمتحن عباده بالشر كما يمتحنهم بالخير، ومن ذلك إصابتهم بأنواع البلايا والمصائب والشدائد وما يشق على نفوسهم.

يخبر الله تعالى أنه يبتلي عباده ليختبرهم فتارة بالسراء وتارة بالضراء من الخوف والجوع ونقص الأموال، ونقص الأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب، ونقص الثمرات فلا تثمر الأشجار كعادتها، فالذين يصبرون على هذه الابتلاءات ويقولون إنا لله وإنا إليه راجعون، عن علم ومعرفة بأنهم ملك لله الذي يتصرف في عباده بما يشاء وعلموا أنه لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير، وعلموا أنهم راجعون إليه سبحانه فيجازيهم على صبرهم يوم القيامة، هؤلاء الصابرون يبشرهم الله تعالى بما أخبر به في كتابه العزيز: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ (البقرة 157)، أي مهتدون إلى الطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الأمر لله تعالى [1].

المطلب الأول : معنى الصبر وأنواعه:

الصَّبْــرُ حبس النفس عن الجزع[2].

والصبر هو :" حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"[3]

والصبر على ثلاثة أنواع:[4]

الأول: صبر عن معصية الله: بمعنى أن تحبس نفسك عن فعل المحرّم.

ومثاله: رجل حدثته نفسه أن يزني - و العياذ بالله - فمنع نفسه فيقا : هذا صبر عن معصية الله.

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (1 /197) ،الزمخشري :**الكشاف** (207/1)

[2] ابن منظور: **لسان العرب** (4/437)

[3] ابن حجر: **فتح الباري** ، حديث 6470

[4] الغزالي، **إحياء علوم الدين** (4/69- 73)

و الثاني: صبر على طاعة الله: بأن يحبس الإنسان نفسه على الطاعة كرجل أراد أن يصلي فدعته نفسه إلى الكسل أو إلى الفراش أو إلى الطعام الذي ليس بحاجة إليه أو إلى محادثة الإخوان ولكنه ألزم نفسه بالقيام إلى الصلاة فهذا صبر على طاعة الله تعالى.

الثالث : صبر على أقدار الله: فإن الله تعالى يقدر للعبد ما يلائم حياته وما لا يلائمها، والذي لا يلائم يحتاج إلى صبر بأن يحبس نفسه عن السخط القلبي أو القولي أو الفعلي إذا نزلت به مصيبة فإذا نزل بالعبد مصيبة فإنه يحبس قلبه عن السخط القلبي وأن يقول إنه يرضى عن ربه عز وجل.

المطلب الثاني : عاقبة الصبر

يختلف المؤمن في موقفه من الابتلاء عن غيره من المخلوقات فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، وهذا ما يدفعه إلى تسليم أمره لربه الرؤوف الرحيم الذي وعد المؤمنين والمؤمنات بالتثبيت عند الشدائد والملمات.

والمؤمن باحتسابه الأجر فيما يلحقه من ابتلاء موعود بجزيل الأجر وعظم الجزاء وفي المقابل هناك من البشر من لا يلوح به بلاء إلا ويسخط ويهتز ويسقط في الفتن شأنه شأن المنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، فهم خُشُب مسندة لا حياة ولا إيمان يقويها قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (العنكبوت 10).

يقول الشيخ الشنقيطي:" يعني إن من الناس من يقول آمنا بلسانه فإذا أوذي في الله أي آذاه الكفار إيذاءهم للمسلمين جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الردة والعياذ بالله، كعذاب الله، فإنه صارف رادع عن الكفر والمعاصي، ومعنى فتنة الناس: الأذى الذي يصيبه من الكفار، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء الذي هو الفتنة "[1].

والمؤمن ينظر إلى الابتلاء على أنه نعمة ورحمة من الله عليه، ليطهره ويثبت قدمه ، فإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، فمن رضي فله الرضى.

[1] الشنقيطي : **اضواء البيان** (462/6)

والصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا من أحب، قال رسول الله ﷺ:" عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط "[1].

ومع أن جزاء الصبر عظيم من الله تعالى إلا أنه يمكن إيجازه بنقاط بعدة، كما وردت في القرآن الكريم وهي على النحو الآتي:

أولاً : محبة الله : فالله سبحانه يبشر الصابرين بمحبة منه عز وجل: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾** ﴾ (ال عمران146).

ثانياً : الفلاح: جعل الله الفلاح في الدنيا والآخرة عاقبة للصبر قا الله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (ال عمران200)

ثالثاً : الأجر والثواب: حيث ضاعف الله سبحانه الأجر للصابرين، ﴿ **أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾** ﴾ (القصص 54) وفي آية أخرى ظهر كرمه سبحانه حيث جعل للصبر أجراً لا حد له فقال سبحانه: ﴿ **قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾** ﴾ (الزمر 10) ، وإذا زاد الإنسان على ذلك الصبر احتسابَ الأجر كان له مع هذا أجر.

والمسلم إذا أصابته مصيبة فتذكر الأجر، واحتسبها عند الله تعالى؛ عادت عليه بفائدتين: تكفير الذنوب، وزيادة الحسنات.

رابعاً : المغفرة والرحمة والهداية من الله تعالى:

وعد الله الصابرين بالمغفرة والأجر الكبير قال تعالى: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾** ﴾ (هود11) ولقد خص الله تعالى الصابرين بأمور لم يخصها غيرهم، كالصلاة عليهم، ورحمته عليهم وهدايته إياهم قال **تعالى** ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ**

---

[1] رواه الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي **الجامع الصحيح سنن الترمذي** ، رقم الحديث(2396) قال حديث حسن غريب من هذا الوجه ورواه بن ماجة 4031 وصححه الالباني .(601/4).

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة155 157)

ولقد وردت أحاديث وآيات كثيرة في فضل الصبر والحث عليه وبيان جزاء الصابرين، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" » مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كفَّر الله بها من خطاياه"[1].

فالمسلم يكفَّر عنه من خطاياه بما يصيبه من الهم والنصب والغم وغير ذلك، وهذا من نعم الله سبحانه وتعالى عليه، يبتلي سبحانه وتعالى عبده بالمصائب فتكون تكفيراً لسيئاته وحطاً لذنوبه فهو في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً على دوام بل هو يُسر ويحزن، يُصاب بمصائب في نفسه، وفي مجتمعه وأهله، ولا تُحصى المصائب التي تصيب المسلم ولكن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

ولهذا ينبغي على المسلم إذا أصيب بمصيبة أن يتذكر احتساب الأجر عند الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب، وهذا من نعم الله سبحانه وتعالى وجُوده وكرمه، حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى، بتكفير سيئاته.

ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" ما يزال البلاء بالمؤمن و المؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة "[2].

خامساً : الجنة: والصبر طريق الجنة وسبب للنجاة من النار. يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (البقرة214) فقد حُفت الجنة بالمكاره، فكيف يدخل الناس الجنة دون صبر على المكاره، وكيف يقي الناس أنفسهم من النار دون صبر عن الشهوات ؟؟ قال صلى الله عليه وسلم:"حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات" [3].

---

[1] رواه البخاري :**الجامع الصحيح**، كتاب المرض _باب ما جاء في كفارة المرض رقم الحديث5317 (2137/5). ومسلم **الجامع الصحيح** ، كتاب البر والصلة والآداب- باب ثواب المؤمن فيما يصيبه مرض او حزن ، رقم الحديث 2572 (15/8) (النَّصب : التعب) وصب(الألم والسقم الدائم).

[2] الألباني: **السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة**. رقم الحديث (2280). ص(279/5). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح بما له من شواهد.

[3] انظر: مسلم: صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهله، حديث رقم ا2823. ص(2174/4).

الفصل الخامس

العاقبة السيئة في القرآن الكريم

المبحث الأول : عاقبة الظالمين

المبحث الثاني : عاقبة المترفين

المبحث الثالث : عاقبة المتكبرين

المبحث الرابع : عاقبة البطر

الفصل الخامس

العاقبة السيئة في القرآن الكريم

إن المنهج الرباني الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم جاء للبشر كلهم على مر الزمان، فمنهم من تلقى هذا المنهج بقبول فسار عليه كما يرضى الله ورسوله ، ومنهم ظالم لنفسه تعالى عن الحق فلم يذعن إليه كبرا وغرورا، فهؤلاء الذين أصروا على رفض الحق وبقوا في مستنقع الشهوات ؛لاشك أن عاقبتهم وخيمة وأليمة فلا يفلت أحد من عقاب الله تعالى فمن عدل الله سبحانه وتعالى أن يحاسب الظالمين المتمردين على أمره سبحانه حساباً شديداً، ونهاية مطافهم نارٌ وقودها الناس والحجارة.

المبحث الأول

عاقبة الظالمين

الظلم ظاهرة انتشرت في بعض الناس ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إما على سبيل الذم، أو على سبيل بيان سوء عاقبة من فعلها وما أدراك ما الظلم، الذي حرمه الله سبحانه وتعالى على نفسه وحرمه على الناس، فقال سبحانه وتعالى فيما رواه رسول الله ﷺ في الحديث القدسي (:يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا)[1].

المطلب الأول : معنى الظلم وأنواعه

أصلُ الظُّلم : الجَوْرُ ومُجاوزَةُ الحدِّ ، ووضع الشيء في غير موضعه. يقال: ظَلَمه، يَظْلِمُه ظَلْمًا، وظُلْمًا، ومَظْلمةً،[2]ومعناه التعدِّي عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد والاعتداء على الغير بأي صورة كانت سواء قولاً أو عملا[3].

وبالرجوع إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن الظلم وجدناها تتناول ثلاثة أنواع ، هي:

النوع الأول: ظلم بين الإنسان وربه جل وعلا . وأعظمه الكفر، والشرك، والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:13] ، وإياه قصد بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [هود:18]، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: 31]، في آي كثيرة، وقال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: 32] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: 93]. يقول القرطبي :"أي لا أحد أظلم منهم لأنفسهم، وعاقبتهم:(ألا لعنة الله على الظالمين) أي بعده وسخطه وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها"[4].

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**.باب تحريم الظلم ، كتاب الصلة والآداب ، رقم الحديث 2577_1393 ص(1994/4).

[2]أنظر: الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب ،**القاموس المحيط**(1464/1) ، ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م (357/3).

[3] الجرجاني :علي بن محمد بن علي ،**التعريفات** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405 (186/1).

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (18/9) .

النوع الثاني : ظلم الإنسان نفسه

وذلك باتباع الشهوات وإهمال الواجبات وكثرة الذنوب والسيئات والمعاصي والمنكرات ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ النحل: ٣٣ ﴿ فَمِنۡهُم ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ [فاطر: 32].

النوع الثالث هو: ظلم الإنسان لغيره

وهذا ما قصده تعالى في قوله : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى 40 جعل الله المؤمنين صِنفين؛ صنف يعفون عن الظالم فبدأ بذكرهم في قوله: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ (الشورى: ٣٧) وصنف ينتصرون من ظالمهم. ثم بين حدّ الانتصار بقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدي.[1]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الشورى 42) يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.[2]

وظلم العباد بعضهم لبعض أنواع، وهو أشهر أنواع الظلم وأكثرها. قال سفيان الثوري: (إن لقيت الله تعالى بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله تعالى؛ أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد)[3].

وكل هذه الأنواع تنتهي بظلم الإنسان نفسه لأن الإنسان أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، والظلم من المعاصي التي تُعجل عقوبتها في الدنيا فالظالم معتد على الغير وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت اكف المظلوم تدعو عليه ، قال صلى الله عليه وسلم :" اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لأَنْصرَنَّك ولو بعد حين "[4].

---

[1] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (40/16).

[2] الطبري، **جامع البيان** (550/21).

[3] السمرقندي ، **تنبيه الغافلين** ،ص380

[4] اخرجه البخاري ،كتاب المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم بلفظ (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) 2316 .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا).سبق تخريجه.

ولقد ترتب على نتيجة الظلم فى الدنيا أن يكون ظلماتٍ يومَ القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[1]، وكأن في إيثار الجمع (ظلمات) بدلاً من (ظلام أو ظلمة) إشارةً إلى تعدد ألوان الظلم الحادث من البشر، فهذا يظلم نفسه، وهذا يظلم زوجه، وثالث يظلم أبناءه وغيرهم، ويصل بعضهم إلى أعلى أنواع الظلم وهو الشرك بالله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان 13].

المطلب الثاني : عاقبة الظلم

من جملة ما أكدت عليه الرسالة السماوية المتمثلة في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو حرمة الظلم ومعاونة الظالمين، ذلك أن الله تبارك وتعالى قد حرم على نفسه الظلم ، كما ورد في الحديث القدسي الصحيح عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربِه عز وجل أنه قال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم..."[2].

لقد بدأ الحديث بإرساء قواعد العدل في النفوس ، وتحريم الظلم والعدوان ،لأن هذا مناف لكمال الله تعالى وعدله ، فلذلك نزّه الله تعالى نفسه عن الظلم فقال :﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ ﴾ (ق: ٢٩)، وقال أيضا : ﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ ﴾ (غافر: ٣١).

ولأن الله تعالى قد حرّم الظلم على نفسه ، فقد حرّمه على عباده ، وحذّرهم أن يقعوا فيه وما ذلك إلا لعواقبه الوخيمة على الأمم ، وآثاره المدمرة للمجتمعات ، وما ظهر الظلم بين قوم إلا كان سبباً في هلاكهم ، وتعجيل العقوبة عليهم ، كما قال سبحانه في كتابه العزيز : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾(هود: ١٠٢).

---

[1] مسلم **الجامع الصحيح** ، كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم ، رقم 2579 (8/18)

[2] مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب البر والصلة والآداب _باب تحريم الظلم، رقم الحديث 4681 (1393/2577).

فالإسلام دين العدل ولا يرضى بالظلم والبغي ، حيث أنزل الله تعالى في كتابه الكريم الكثير من الآيات القرآنية المباركة التي تدل دلالة قطعية واضحة البرهان على ضرورة العدل بين الرعية وعدم الظلم فيما بينهم ، حيث اعتبرت هذه الضرورة من الواجبات المهمة على كافة الأصعدة والمجالات الحياتية.

ويمكن ايجاز عاقبة الظالمين في الدنيا والآخرة في النقاط الآتية:

أولاً : عذاب الله تعالى يوم القيامة :

فالظلم يجلب غضب الله سبحانه وتعالى ويسلط على الظالم شتى أنواع العذاب حتى أن الظالم يعض على يديه ويتمنى لو اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم - وأطاعه في الدنيا، يقول عز وجل ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٧) ومن صور عذابهم أنهم يُحشَرون مع أمثالهم ومن كانوا يعبدون من دون الله ويقادون إلى نار جهنم ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ **الصافات: ٢٢ -٢٣** ، يعني بأزواجهم: أشباههم وأمثالهم، أو قرنائهم.[1]

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ طه: ١١١ أي: خضعت لجبارها الحي الذي لا يموت، وحصلت الخيبة لأهل الظلم يوم القيامة.[2]

ثانياً : الدمار والهلاك للظالمين في الدنيا:

ذكر الله مصير الأمم التي كذبت رسلها بهدف أخذ العبرة والعظة ، ولبيان سنة الله تعالى فيمن كذب الرسل عليهم السلام، أو وقف من دعوتهم موقف الإعراض والاستكبار ، بعد إقامة الحجة عليهم؛ كان مصيرهم الدمار والهلاك ، ومن ذلك قوله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ الحج: ٤٢ - ٤٥.

---

[1] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي [700 -774 هـ ، **تفسير القرآن العظيم** ،تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م ، عدد الأجزاء : 8

[2] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (318/5) .

وفي معرض قصة فرعون وقارون وهامان وبيان عذاب الله لهم وإهلاكهم لظلمهم وتكبرهم في الأرض بغير الحق قال تعالى﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٣٩ - ٤٠.

ولو تتبعت أخبار الأمم السابقة جميعها من قوم صالح وهود ونوح وغيرهم من الأنبياء تجد أن الله أهلكهم نتيجة لظلمهم أنفسهم بعبادة غير الله وظلمهم الرسل بعدم تصديقهم واتباعهم قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ هود: ١٠٢ وقال تعالى ايضاً ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الكهف: ٥٩ ، وهذا غيض من فيض من آيات الله في الأفراد والأمم السابقة بما فيها من عبر وعظات لمن يعتبر.

ثالثاً : فقدان الأمن والاستقرار:

قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢ وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنعام: ٤٤ - ٤٥

قال ابن كثير:" أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يُشركوا به شيئًا، هُم الآمِنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة".[1] ولكنهم لما بطروا استأصلهم وقطع دابرهم . والدابر :الآخر ، والمراد بقطعهم هنا :استئصالهم عن آخِرهم فلم تبق لهُم باقية.[2]

ومن الذين عاقبهم الله في الدنيا عقابًا عاجلاً وتوعّدَهُم بالعقاب الشديد في الآخرة، مَن مَنعواْ الناس من عمارة بيوت الله وذكر اسم الله فيها وسَعَواْ في خرابها ...فقال تبارك وتعالى مؤكدًا أن هذا من الظلم العظيم: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٤ فهؤلاء

---

[1] ابن كثير :**تفسير القرآن العظيم** (294/3).

[2] الطبري **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(124/7)**. والآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (7 /152).

نتيجة لظلمهم ومنعهم الناس من عمارة بيوت الله فإنهم يعاقبون بزرع الخوف في قلوبهم ونزع الاستقرار من كيانهم.

رابعاً : اللعنة والحرمان من الشفاعة :

قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (غافر: ٥٢) يقول الطبري: "وللظالمين اللعنة، وهي البُعد من رحمة الله ولهم مع اللعنة من الله شرّ ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم ، ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم".[1]

ويظهر من الآية السابقة أنه بالإضافة إلى أنهم ينالون لعنة الله فإنه لن يقبل ندمهم واعتذارهم ولن يجدوا أحداً ليشفع لهم أو يقبل شفاعتهم ، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر: ١٨).

خامساً : الصَّرف عن الهداية :

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١ وقوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠ "يقول تعالى ذكره: إن الله لا يوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذّبوا رسوله، وبدّلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثاراً منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم"2.

سادساً : تحريم الطيبات

يقول تعالى﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٠ - ١٦١. "السياق في اليهود من أهل الكتاب يبين جرائمهم ويكشف الستار عن

---

[1] أنظر : الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (بتصرف).(402/21) .

[2] الطبري :**جامع البيان،(592/19)**.

عظائم ذنوبهم، ففي الآية الأولى سجل عليهم الظلم العظيم والذي به استوجبوا عقاب الله تعالى حيث حرم عليهم طيبات كثيرة كانت حلالًا لهم، كما سجل عليهم أقبح الجرائم، وهي صدهم أنفسهم وصد غيرهم عن سبيل الله تعالى، وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله، وقبولهم الرشوة في إبطال الأحكام الشرعية. هذا ما تضمنته الآية الأولى، أما الثانية فقد تضمنت تسجيل جرائم أخرى على اليهود وهي أولًا استباحتهم للربا وهو حرام، وقد نهوا عنه، وثانيًا أكلهم أموال الناس بالباطل؛ كالرشوة والفتاوى الباطلة التي كانوا يأكلون بها. وأما قوله تعالى في ختام الآية: "وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" فهي زيادة على عقابهم به في الدنيا أعد لمن كفر منهم ومات على كفره عذابًا أليمًا موجعًا يعذبون به يوم القيامة"[1].

ومن تعذيب الظالمين ما ذكره ربنا عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ الأنعام: (١٢٩)، "نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم ببعضهم من بعض، جزاءً على ظلمهم وبغيهم"[2]؛ فيسلط الله على الظالم ظالماً آخر، فيظلمه ويقهره جزاء ظلمه، والجزاء من جنس العمل.

ويكفي الظالم قول الحق ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ غافر: ٥٢.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب** (573/1).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (340/3).

المبحث الثاني

عاقبة المترفين

ما ورد ذكر الترف في القرآن الكريم إلا وهو يحمل الذم والتحذير منه وما ذاك إلا لما يشتمل عليه من مفاسد . منها ما يقضي على الرجولة والشهامة التي هي من مقومات الجهاد ومواجهة الصعاب، ويحل محلها النعومة والكسل والاسترخاء والميل إلى الراحة والبطالة ، وبهذا تفقد الأمة قوتها، ويتغلب عليها أعداؤها وتسقط هيبتها.

المطلب الأول : معنى الترف وأسبابه

جاء في لسان العرب: الترف : التنعم، والتُّرفه النعمة ، والمترف: هو الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش[1] وذكر الراغب الأصفهاني أن الترف هو التوسع في النعمة.[2]

والمترف: "المنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى هلك".[3]

والمراد بالترف هنا: مجاوزة حد الاعتدال بالتنعم وسعة العيش، والتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها توسعًا يلهي عن طاعة الله، ونسيان إدراك الغاية من وجوده في هذه الدنيا.

والمراد بالمترفين هم: الذين أبطـــــــرتهم النعمة وسعة العيش، وتوسعوا في التنعم بشهوات الدنيا وملذاتها ، الحريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، حتى وصلوا إلى حد الطغيان وعدم شكر النعم، ونسيان غايتهم التي خُلِقوا من أجلها، ومن الآيات التي تحدثت عن الترف أنه من الأسباب التي توجب دخول النار قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الواقعة: ٤١ - ٤٥.

قال تعالى:﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ

---

[1] انظر : ابن منظور: **لسان العرب** (مادة: ترف) (17/9).

[2] الراغب الأصفهاني : **المفردات**، ص74.

[3] الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي **جواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت: (222/2).

وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾(الأنبياء 11 15) ،هذه الآيات مثال إجمالي واضح صريح عن صورة الإهلاك وسببه ، الذي هو : الظلم ، والترف ، والانغماس في نعمة الله تعالى دون تأدية شكرها والاعتراف بفضل الله تعالى عليهم فيها .1

خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة وبعث الرسل وأنزل الرسالات هداية للناس ، ولكن الإنسان الظالم هو يختار طريق الانحراف ، والضلال ، والغفلة ، عن الآخرة ، قال تعالى ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ التين 4_6 ، ومن أهم مظاهر الانحراف ، الترف الناتج عن الأسباب التالية :2

ضعف الإيمان بالله سبحانه، والجهل بحال الدنيا، وأنها قصيرة مائلة إلى الزوال.

اتباع الهوى والشيطان الذي زين للناس الملذات، وكره إليهم الطاعات.

طول الأمل ونسيان الموت وعدم موازنة المسلم بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد:

فطول الأمل ونسيان الدار الآخرة يولد الانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها فينتج عن ذلك الغفلة عن المصير وما تنتجه من ضعف الخوف من الله تعالى وقلـــــة خشيته، وبالتالي عدم المحاسبة للنفس والمراقبة لها، قال الله ــسبحانه محذراً من ذلك: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ الحجر: ٣ .

والمؤمن الذي يدرك غايته التي خُلِق من أجلها يأخذ بتلابيب روحه وعقله وجسده ليحقق تلك الغاية، فيجعل كل فعل وقول، وكل حركة وسكنة تخدم غايته الرئيسة، فيُسخر دنياه لخدمة دينه، ويجعل من متطلباته الجسدية والفكرية ما يقرب روحه من بارئها، حتى تحقق العبودية الكاملة لربها سبحانه وتعالى .

---

1 عاشور ، مجدي محمد ، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات** ،ص457 .

2 عاشور : مجدي ، **السنن الإلهية** ، ص256_260 (بتصرف)

4) كثرة المال وتوجيهه في غير ما أعطي له ، وذلك لأن المال يدعو إلى الركون والمتعة والراحة، ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، فقد بينت آيات القرآن هذه الحقيقة: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ العلق: ٦ - ٧ ،والمؤمن الكيس الفطن الذي يدرك أن المال ظل زائل وعارية مستردة، من يعطه سيحاسبه على قليله وكثيره من أين اكتسبه و فيما أنفقه، يعمل لهذا الحساب، فيُسَخر ماله لخدمة دين الله ، ويجاهد شهواته وملذاته في أن يجعله مطيته إلى الجنة ول يبطر ول يتكبر مثل قارون وصاحب الجنتين[1].

5) حب النفس للشهوات والقرآن الكريم قد حذر المسلم من تفضيل شهواته وملذاته على أوامر الله سبحانه وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة: ٢٤ .

6) إغراء الأعداء للمسلمين بإيقاعهم في الشهوات والكفر والنفاق ، قال تعالى :﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ۝٨٨ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ۝٨٩ ﴾ (النساء 88_89).

7) حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع.

8) ضعف التربية.

المطلب الثاني : عاقبة الترف والمترفين

وردت آيات عدة في القرآن الكريم فيها تحذير للمترفين وبينت لهم سنة الله تعالى في عقابهم وجزائهم؛ كي لا يغتروا بقوة أو بجاه، فليست القوة الحقيقية في مثل هذه الأمور؛ بل إن القوة الحقيقية في توحيد الله وطاعته.

---

1 انظر : قصة قارون في سورة القصص 76_83 ، وصاحب الجنتين في سورة الكهف 32_44.

قال الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ التوبة: ٦٩ ٧٠ ، ويمكن إيجاز عاقبة المترفين فيما يأتي:

أولاً: دخول النار، إذا استمر المرء في ترفه ولم يتعظ بالآيات والسنن وقصص السابقين؛ وجبت له النار، قال تعالى : ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الواقعة: ٤٠ 45). وليس هذا فحسب، بل وردت آيات صريحة في إلحاق العذاب بالمترفين الذين لا يعتبرون بالآيات والسنن، وكذلك الذين يتبعون آباءهم في الإعراض عن الآيات والكفر بالرسل، منها قوله تعالى: {﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ المؤمنون: ٦٤ ٦٧

ثانياً : الخسران في الدنيا والآخرة

ومن شُؤم الترف أن الأمم والأفراد الذين ينغمسون فيه يكفرون نعم الله عز وجل وتكون عاقبتهم خسران الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل: ١١٢ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ الإسراء:16

وقال جابر بن عبد اللّه: «رأى عمر بن الخطّاب في يدي لحمًا معلّقًا، قال: «ما هذا يا جابر؟». قلت: اشتهيت لحمًا، فاشتريته. فقال عمر: (كلّما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية: {أَذْهَبْتُمْ

طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيا)[1] وفي تاريخ الأمة من المترفين من عاقبهم الله عز وجل وأنزلهم من البروج المشيدة إلى غياهب الفقر والحاجة كقوم سبأ ، سنأتي على ذكرهم لاحقا.

ثالثاً : الخراب والدمار

إن من يتأمل التاريخ قديمًا وحديثًا ويتدبر قصص القرآن الكريم من هذا الجانب ؛ يدرك يقينًا أن الترف لا يكون عاقبته إلا الخراب والهلاك، ليس فقط على صاحبه أو على الجماعة المترفة بل على الأمة بأسرها، فالأمة التي تسمح للمترفين بالوجود بينها، وتمنحهم السيادة والريادة ولا تزيل أسباب ترفهم، وتقف مكتوفة الأيدي أمام إفسادهم في الأرض تستحق الخراب والهلاك، لأن المترفين الذين ما يلبثوا أن يتحولوا إلى طغاة، لا يتسلقون إلا على أكتاف من يعظمهم، ويعطيهم أكثر من حجمهم.

يقول عز وجل ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ الإسراء: ١٦ ، هذا إخبار من الله تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة، أمر مترفيها المنعمين بالملذات بالطاعة، فعصوا وخالفوا أمر الله واشتد طغيانهم، فحقت عليها كلمة العذاب فدمرها الله تدميراً ، أو جعلهم أمراء فزادوا في الفسق ولا رادع لهم من رعيتهم؛ لأن فسقهم سيجعلهم يكممون أفواه الرعية بكل الطرق .

يقول الشيخ سيد قطب: "الهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين فيها، وسماح الجماعة بوجودهم وسكوتها عنهم وقعودها عن إزالة أسباب الترف، وتركها المترفين يفسدون؛ كل ذلك أسباب تؤدي حتماً إلى الهلاك والتدمير لطبيعة وجودها.فالترف لا بد أن يؤدي إلى المنكر بحكم وجوده في الجماعة، والفتية المترفون والفتيات المترفات وهم يجدون الشباب والفراغ والجدة، لابد أن يفسقوا ولابد أن يبحثوا عن مصارف أخرى لطاقة الجسد، وطاقة المال، وطاقة الوقت، وغالباً ما تكون مصارف تافهة تأخذ طابعها من الزمن والبيئة، ولكنها تلتقي عند حد التفاهة والميوعة والقذارة الحسية والمعنوية."[2]

---

1 **الآداب الشرعية** 3 (/341).

[2] قطب : **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ص(147 148).

رابعاً :الانصياع للشهوات والبعد عن طريق الله، فيصبح المترف عبدًا للهوى والشهوة فيرد الحق ويكذبه، ويغفل عن الآخرة ودرجاتها العالية، ويتعلق بالحياة ومباهجها وينسى الهدف من وجود الإنسان فيها.

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ هود: ١١٦

وتضعف لديه مراقبة الله تعالى، وتنتشر البطالة ويظهر العجز والكسل لدى الشباب، والعُجْبُ بالنفس والتكبر على الآخرين، والغفلة عن محاسبة النفس، وكسر قلوب الضعفاء والفقراء لما يراه هؤلاء من فوارق طبقية بينهم وبين المترفين العابثين بالمال بغير حساب، وهذا قد يؤدي إلى صراع طبقي في المجتمع، وهذا الصراع الطبقي أحد أسباب سقوط الأمم.

خامسا : الهلاك : قال عز وجل : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنبياء: ١١ ، هذا الترف الذي اجتاح هذه القرى فكان سبباً في هلاكها، و قال تعالى : ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٣ يعني ارجعوا إلى ما نعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم . قال ابن كثير : (لا تركضوا وارجعوا هذا تهكم بهم كأنه قيل لهم : "لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والعيشة والمساكن الطيبة"[1] . وقال السعدي رحمه الله : " أي لا يفيدكم الركض والندم ولكن إن كان لكم اقتدار فارجعوا إلى ما أترفتم فيه من اللذات والمشتهيات ومساكنكم المزخرفات ودنياكم التي غرتكم وألهتكم فجاءكم أمر الله فكونوا فيها متمكنين ، وللذاتها جانين ، وفي منازلكم مطمئنين معظمين لعلكم أن تكونوا مطلوبين مقصودين في أموركم كما كنتم سابقاً مسؤولين من مطالب الدنيا كحالتكم الأولى وهيهات أين الوصول إلى هذا ؟ (في الآخرة لا يمكن أن يكون لهم هذا) وقد فات الوقت وحل بهم العقاب والمقت ، وذهب عنهم عزهم وشرفهم ودنياهم وحضرهم ندمهم وتحسرهم"[2].

---

[1] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** (335/5).

[2] السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى 1420هـ - 2000 م،(520/1).

وقد ينحرف بعض الناس عن عداد الصالحين نتيجة الإكثار من الملذات والشهوات المباحة أولاً، ثم التوسع فيها حتى يخرجوا عن دائرة المباح إلى دائرة المشتبه فيه، ومع الزمن يقعون في المحرمات قليلاً قليلاً حتى يصلوا إلى مرحلة الهلكة وزيغان القلب، وخروجه إلى دائرة الفسق إن لم يتجاوزها، وقد بين الله عز وجل أن التوسعة في النعم على العباد في الدنيا إنما هو امتحان وابتلاء وليس رضاً عليهم ولا محبة لهم بخلاف ما يعتقدونه فإنهم يعتقدون أو يظنون بأن النعم التي تأتيهم علامة على رضا الله عنهم وليس هذا في الحقيقة، فمن عاش في حياة الترف وألهاه التنعم بالانغماس فيه والاستكثار منه عن التعبد لله عز وجل وأشغلته هذه الأمور عن طاعة الله عز وجل فهذا مسكين،قال تعالى: چ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ چ المؤمنون: . أي : " ذرهم في هذه الغمرة غافلين مشغولين بما هم فيه، حتى يفجأهم المصير حين يجيء موعده المحتوم.ويأخذ في التهكم عليهم والسخرية من غفلتهم، إذ يحسبون أن الإملاء لهم بعض الوقت، وإمدادهم بالأموال والبنين في فترة الاختبار، مقصود به المسارعة لهم في الخيرات وإيثارهم بالنعمة والعطاء وإنما هي الفتنة، وإنما هو الابتلاء"[1]

خامساً: قساوة القلب وغلظة الحس وثقل البدن ،مما يؤدي إلى نسيان العلم وزوال الفطنة والحرمان من متعة التطلع إلى ما وراء اللذة الآنية بالإضافة إلى حرمان النفس من متعة الاهتمامات الكبرى اللائقة بالدور العظيم للمسلم في هذه الحياة مع انشغال القلب عن التبصر بما يدور حوله للعبرة والعظة من ذلك نتيجة غرقه في لجة اللذائذ والشهوات[2] ، قال الشوكاني رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٣ ،وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر.[3]

مما سبق يلاحظ أن المترفين وراء كل رذيلة في المجتمعات البشرية، وعليه فإن ظهورهم في المجتمع وتصدرهم فيه، سبب هام من أسباب فساد المجتمعات.

---

1 قطب: سيد ، **في ظلال القرآن** (5 / 236)

[2] انظر قطب: **الظلال**(342/1).

[3] الشوكاني : محمد بن علي ، **فتح القدير** (785/4) .

وذلك يدعو للنظر في حال أهـــــــل الـــتـــرف قديماً وحديثاً، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة، وقلة طاعة، وقسوة قلب، وكثرة هم، وتشتت فكر، بالإضافة إلى الفجيعة من تقلب الأحوال والخوف من انصرام ما هم عليه من نعيم وملذات، فهذا كفيل بردع العاقل عن التعلق بالملذات.

لا بد للمكثر من ملذاته وشهواته أن ينظر في أحـــــــــــوال الـــمسلمين والتأمل في ما يعانون من فقر وجهل ومرض، ناهيك عن ما يتعرضون له من حروب، ليعرف شدة خطئه في ترفه، وأن الأنفع له تقديم يد العون إلى المحتاجين من أفراد الأمة.[1]

[1] البعداني : فيصل: مقال على الانترنت بعنوان" الترف وخطره على الدعوة والدعاة "موقع صيد الفوائد. ww.saaid.net\aldawah

المبحث الثالث

عاقبة المتكبرين

التكبر صفة ذميمة لا يرضاها رب العالمين ولا رسوله الكريم ، وذلك لشعور المتكبر بعلو نفسه فوق الناس كلهم ، وأنه أفضل وأكرم منهم ، فلا يعطي احتراما ولا رحمة لهم ، فهو يرى نفسه ارفع وأعلى منهم، وهؤلاء المتكبرون مبغوضون عند رب العالمين ، فقال :" إنه لا يحب المستكبرين"(النحل23)، فمن كان منبوذا عند رب العالمين ؛ كانت عاقبته سيئة لما كسبه بيديه.

المطلب الأول : معنى الكبر

الكِبر: العظمة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ النور: ١١ ، والكِبْرُ : مُعْظَمُ الشيءِ والشَّرَفُ ويُضَمُّ فيهما والإثمُ الكبيرُ كالكِبْرَةِ بالكسر والرِّفْعَةُ في الشَّرَفِ والعَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ كالكِبْرياءِ[1] .

وفسر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الكبر فقا :"إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[2]معنى غمط الناس أي الازدراء بهم و استحقارهم أي التعالي على الناس[3].

فالكبر من الأخلاق الرديئة والأمراض الدفينة حيث يعيش المرء بِالوَهم ويظن المتكبر نفسه بسبب الكبر عظيماً في أعين الناس وهو عند الله قبل الناس ذليل.

وذهب الإمام الغزالي إلى أن الكبر ينقسم إلى قسمين : باطن وظاهر. فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح[4].

أما اقسام التكبر فهي ثلاثة :

الأول: التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ويؤدي بصاحبه إلى الكفر كما حدث لإبليس اللعين كما جاء في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ

---

[1] الفيروزآبادي: **القاموس المحيط** (602/1)

[2] أخرجه مسلم، **الجامع الصحيح** باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ،رقم الحديث:275 (65/1) . (البطر : التكبر على الحق فلا يقبله ، الغمط : الاحتقار والاستهانة).

[3] احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي **مختصر منهاج القاصدين** دار البيان دمشق ص 228.

[4]الغزالي : ابو حامد بن محمد ، **إحياء علوم الدين** دار المعرفة بيروت، (3/ 343).

وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤ وأما أمثلة التكبُّر على الناس، فقد مرَّ ذِكْرُ الكثير منها، ومما جاء في القرآن منها قولُ إبليس في آدمَ عليه السلام: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ الأعراف: ١٢ فحمله ذلك إلى الامتناع من السجود لله وكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فَجَرَه ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبباً في هلاكه. فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ، ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله[1].

ويذهب الكبر بصاحبه أيضاً إلى الاستعلاء والطغيان وادعاء الربوبية كما فعل ذلك النمرود حين قال لإبراهيم عليه السلام :﴿ **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** ﴾ [البقرة: 258]

وكان الأولى بالْحُكَّام المستعبِدين للرعيَّة، المحتقرين للشعب أن يَسْمَعوا القرآن وهو يقصُّ ما حَدَث لأمثالهم؛ حتى يعتبروا ويَزدجروا، فقد كان فرعون قمَّة في الطُّغيان في عصرْه، وشرَّ مُتَكَبِّرٍ على شعْبه، أوْهَمَ شعْبَه أن كلَّ خيرٍ وفضْل ونعمة، هو مِنه، فقال: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف:51.

ونظَر إلى شعْبه بازدراء واحتقار، فقال في موسى عليه السلام: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف: 52، ووصَل الأمر إلى ما ذَكَره الله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: ٢٣ -٢٤

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس.وذلك يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى المتكبر في ظلمة الجهل بكبره ، فيمتنع عن الانقياد وهويظن أنه محق فيه وتارة يمتنع عن المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد إلى الحق والتواضع للرسل كما حكى الله في قوله﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ

[1] الغزالي: **إحياء علوم الدين** (3 / 347).

إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٤ - ٣٥. وقوله تعالى﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٣٩. فتَكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً[1].

القسم الثالث: التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم و يستصغرهم ويأبى عن مساواتهم.

إن الكبر والعز والعظمة لا تليق إلا بالله وحده فأما العبد الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ فلا يليق به ذلك ، فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله[2].

وإلى هذا المعنى أشار الحديث القدسي " قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ "[3] ، أي إنه خاص بصفة الله ولا يليق إلا بالله تعالى .

المطلب الثاني : عاقبة الكبر

إن العقوبات والجزاء الذي أعده الله لأهل الكبر في الدار الآخرة هو الدخول في النار والعياذ بالله بدليل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ وهناك جملة من العقوبات التي أعدها الله لأهل الكبر جزاء بما كانوا يفعلون ومن هذه العقوبات :

أولاً : دخول جهنم والحرمان من الجنة:

فجزاء المستكبرين الذي أعده الله لهم في الدار الآخرة، هو دخول النار، جزاءً وفاقاً لكبرهم في الدنيا قال تعالى { ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ فالمتكبرون في الدنيا أعد الله لهم يوم القيامة عذاباً أليماً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ الزمر: ٦٠.

---

[1] الغزالي: **إحياء علوم الدين** 345/3.

[2] الغزالي : **إحياء علوم الدين** 346/3.

[3] **اسنن أبي داود** كتاب اللِّبَاسِ بَاب مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ ، رقم الحديث 4090 . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي .

فالكبر خلق ذميم وآفة تفتك بصاحبها تحول بينه وبين دخول الجنة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ.« [1] . وإنما صار الكبر حاجبا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة ، والكبر يغلق هذه الأبواب كلها لأن المتكبر لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين ولاعلى ترك الحقد ولاعلى الصدق ، ولا على ترك الغضب وغيرها من الأمور التي توجب حرمانه من الجنة ، لأنها تمنعه من قبول الحق والانقياد له[2].

ثانياً: بغض الله عز وجل للمتكبرين:

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ لقمان: ١٨. والمختال الفخور أي "متكبر ذي فخر" [3] ويلقى المتكبر رب العالمين وهو غضبان عليه بدليل ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ"**[4] .ويبغضهم النبي صلى الله عليه وسلم : بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون)[5].

---

[1] مسلم **الجامع الصحيح** كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، رقم الحديث (276) (1 / 65).

[2] أنظر : الغزالي : **إحياء علوم الدين** 3 /345.

[3] الطبري ، **جامع البيان** (145/20).

[4] مسند أحمد ،

[5] رواه الترمذي : الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَاب مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الْأَخْلَاق رقم الحديث (2018).(4 / 370). قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ وَهَذَا أَصَحُّ.

ثالثاً عقوبة الخسف في الدنيا ، كما حكى القرآن الكريم عن قارون ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ القصص: ٨١.وهذه سنة جارية في المتكبرين، وكما ورد فى الحديث (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)[1]. وهؤلاء قوم نوح لما دعاهم نوح إلى الإيمان ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ نوح: ٧ ، يقول الله -عز وجل مبيناً مصيرهم ومآلهم في الدنيا: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ نوح: ٢٥.وهؤلاء قوم عاد يقول الله عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾فصلت: ١٥ إلى أن قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت: ١٦

رابعاً : الذل والصغار في الآخرة: ولهم الذل والعذاب في الآخرة، يقول المولى عز وجل ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال "[2].

خامساً : إغلاق عقولهم وتعطيل قلوبهم عن فهم آيات الله وتدبرها :

فقال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف: ١٤٦. قال الطبري:"إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه علـــى حقـــيقة ما أمر به

---

[1] البخاري، **الجامع الصحيح** باب من جر ثوبه من الخيلاء، رقم الحديث 5452 (2182/5).ومسلم ، الجامع الصحيح ،كتاب اللباس والزينة باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه رقم 2088

[2] **سنن الترمذي** رقم الحديث (2492) (4 / 655) قال عنه الترمذي حديث حسن صحيح.

عبـــاده وفرض علـــيهم من طاعته فـــي توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه، والسموات والأرض، وكلّ موجود من خـــلقه فمن آياته، والقرآن أيضاً من آياته. وقد عمّ بـــالـــخبر أنه يصرف عن آياته الـــمتكبرين فـــي الأرض بغير الـــحقّ، وهم الذين حقَّت علـــيهم كلـــمة الله أنهم لا يؤْمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبـــار بها مصروفون لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبـــار به اتعظوا وأنابوا إلـــى الـــحقّ، وذلك غير كائن منهم".[1]

و قا عز وجل: {﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ غافر: ٣٥ وقال تعالى: {﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ إبراهيم: ١٥.

[1] الطبري: **جامع البيان** (13/113)

المبحث الرابع

عاقبة البطر

البطر من الألفاظ التي تتعلق بالنعم التي أنعم الله بها على عباده ، وهو سبب من أسباب زوال النعمة عن الإنسان كما سيتبين من خلال آيات القرآن الكريم وقد قرنه القرآن في بعض الآيات بمفهوم الفرح والفخر ، فهما أيضا من المفاهيم المذمومة المتعلقة بزوال النعم وقد فسر بعض المفسرين الفرح والفخر بالبطر[1] .

والله تعالى أنعم على عباده بما لا يعد ولا يحصى من النعم﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم: ٣٤ وفي حين كان الواجب على العباد شكر هذه النعم واستعمالها فيما يرضي الله تعالى فإن أقواما من الناس لم يشكروا نعم الله تعالى بل طغوا وتجبروا ووصلوا إلى حالة من البطر فكانت عاقبتهم وخيمة.

المطلب الأول : معنى البطر

عرف الراغب البطر بأنه : "دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها ، وصرفها إلى غير وجهها "[2] .

وذكر البغوي في تفسير قوله تعالى﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال: ٤٧ أنه الطغيان في النعمة وترك شكرها[3].

ويقول القرطبيّ رحمه الله عن البطر : "التقوية بنعم الله عز وجل وما ألبسه من العافية على المعاصي ".[4]

---

[1] انظر : المحاربي: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية، **المحرر الوجيز**(6/15)/، والطبري ، **جامع البيان**(21/417) ، والسعدي :**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**(1/177) **التحرير والتنوير** (1/3166) (1/1293)

[2] الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب أبو القاسم ،**مفردات ألفاظ القرآن**

[3] البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود [المتوفى 516 ه) **معالم التنزيل** ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط4 1417 هـ - 1997 م ج : 8.(3/365)

[4] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (8/25)

المطلب الثاني : عاقبة البطر

سلك القرآن مسلكاً وسطاً في توجيهه للمسلم، حيث طالبه أن لا يأسى على نعمة فاتته وأن لا يفرح بطراً يلهيه عن الشكر بما آتاه الله من خير، قال تعالى﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣

والآية الكريمة السابقة جاء فيها توجيه العباد بأن لا يحزنوا على أرزاق الدنيا ولذاتها ، وأن لا يفرحوا فرحاً يوصلهم للبطر ويمنعهم الشكر على النعم التي أعطاها لهم ، ومعناها : نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله والنهي عن الفرح الموجب للبطر والاختيال والزهو ، لذلك أعقبه تعالى بقوله :(والله لا يحب كل مختا فخور) ، أي لا يحب كل متكبر يفخر على الناس بما أعطاه الله من مال وجاه ونعمة.[1]

والمتأمل في القرآن الكريم يقف على جملة من الآيات التي تبين عاقبة الذين يتكبرون على ما أسبغ الله عليهم من نعم ظاهرة وباطنة ، بل ويستعملون تلك النعم في غير ما شرعه الله ومن ذلك :

أولاً :العقاب في الدنيا قبل الآخرة، نقرأ في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنبياء: ١١.

وتخبرنا الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ هود: ١٠ أي: فرح بما في يده، بَطِرٌ فخور على غيره .[2] تخبرنا عن تلك الفئة التي أصابتهم النعم بعد ضراء مستهم فنسوا ما كانوا فيه من الضر والمكروه ، ونسوا ما عليهم من الشكر والذكر لله عز وجل الذي أنعم عليهم بهذه النعماء.

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ فصلت: ٤٩: "إنها صورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر الذي يعيش في لحظته الحاضرة ، ويطغى عليه ما يلابسه ؛ فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلي فهو يؤوس من الخير ، كفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه . مع أنها كانت هبة من الله له . وهو فرح بطر

---

[1] البيضاوي، **أنوار التنزيل** (2 /471_470)

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (4/309)

بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء . لا يحتمل في الشدة ويصبر ويؤمل في رحمة الله ويرجو فرجه ولا يقتصد في فرحه وفخره بالنعمة أو يحسب لزوالها حساباً . هذا الإنسان لا يسأم من دعاء الخير . فهو ملح فيه ، مكرر له ، يطلب الخير لنفسه ولا يمل طلبه وإن مسه الشر . مجرد مس . فقد الأمل والرجاء وظن أن لا مخرج له ولا فرج ، وتقطعت به الأسباب وضاق صدره وكبر همه ؛ ويئس من رحمة الله وقنط من رعايته. ذلك أن ثقته بربه قليلة ، ورباطه به ضعيف! ."[1]

ومعنى الآية في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (فصلت49) أن الله إذا أذاق هذا الإنسان طعم النعمة ، ورخاء العيش وصحة البدن اعتقد بأن هذه هي حالته الأصلية التي لا تفارقه أصلاً ، وهي حالة النعماء والسلامة ، وفي التعبير عن ملابسة النعماء بالذوق ، وعن ملابسة الضراء بالمس ، ما يدل على أن مراده تعالى هو إيصال الخير لعباده ، وأنه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، والتعبير بالمس يوحي بمجرد المس الملاصق للبشر دون تأثير ، أما الذوق فيعبر عن شدة الإحساس باللذة والمتعة وحينئذ يقول ذلك الإنسان بكل صلف وغرور: ذهب السوء الذي لم أتوقع زواله عني من دون أن يشكر ، ثم إنه بعد ذلك مغتر بالنعمة بطرٌ بها ، متعاظم على الناس بما أوتي من النعم ، مشغول عن القيام بحقها .[2]

وضرب الله تعالى في القرآن الكريم مثلاً على أن البطر كان سبباً في إهلاك أمم وشعوب طغت بالنعمة ولم تشكر الله عز وجل على نعمه . قال تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص: 58.

يقول القرطبي :"والمعنى : وكثير من أهل القرى كانت حالتهم كحال هؤلاء في الأمن ، وسعة العيش والدعة ، حتى أشركوا فدمرنا عليهم بعد أن بطروا النعمة ، وطغوا بها ، ولم يشكروها ،

---

[1] قطب : **في ظلال القرآن** (199/4)

[2] البقاعي: **نظم الدرر**(3 /508) ، المنصوري : **المقتطف من عيون التفاسير** (2 /511)

لأن البطر والكفران يزيلان النعم فأصبحت مساكنهم خالية من أي حياة بعد إهلاكهم إلا قليلاً من المساكن ، فإن تلك المساكن لم يسكنها إلا المسافرون ومن مر بالطريق ، وذلك بسبب معصية بطرهم بالنعمة ".[1]

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : "يقول الله تعالى معرضاً بأهل مكة في قوله تعالى: (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي طغت وأشركت وكفرت بنعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق ، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ النحل: ١١٢ - ١١٣ ، ولهذا قال تعالى : { فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً }(القصص 58) أي دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم ورجعت خراباً ليس فيها أحد " [2].

وهذا إشارة إلى شدة غضب الله تعالى على أهلها الأولين بحيث تجاوز غضب الساكنين إلى المساكن نفسها ، فعاقبها بالحرمان من السكان لأن بهجة المساكن بسكانها [3].

وهذه الآية الكريمة تقرر سنة باقية إلى يوم القيامة وهي أن بطر النعمة وعدم الشكر عليها هو سبب هلاك الناس ، وبالتالي عليهم أن يحذروا البطر، وعدم الشكر على ما أنعم الله عليهم من نعم ، فيحل بهم الهلاك كما حل بالقرى التي يرونها ويعرفونها ، ويرون مساكن أهلها الداثرين الخاوية ، تروي مصارع أهلها وقصة البطر بالنعمة .

وحمل لنا القرآن الكريم قصص أقوام نسوا نعمة الله فكانت قلوبهم قاسية ولم يشكروا المنعِم على نِعَمه وظنوا أن هذه النعم هي من حقهم لا يُمنُّ عليهم بها ففرحوا بها وغرَّهم ما هم فيه من النعم، وفي غمرة ذلك الغرور والبطر جاءهم عذاب الله بغتة . قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤ نقل ابن كثير رواية عن قتادة أنه قال : (بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله

---

[1] القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** (301/13)

[2] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم**(6/248) .

[3] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (152/20) .

قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعيمهم فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون)[1].

والآية تذكر حال هؤلاء الجاحدين لما تناسوا نعم الله عليهم ولم يعتبروا بالضر الذي أصابهم ، حين ذلك استدرجهم الله بفتح أبواب النعم عليهم وأنواع الخيرات والأرزاق ، وبدل الله مكان البأساء الرخاء والسعة والعيش الحسن والسلامة في الأبدان ، حتى إذا تناهى بهم الفرح والبطر وأُعجِبوا بذلك ، ثبت أنهم في غاية الغباء ، لا يرتدعون بسياط الغباء ، ولا ينتفعون ببساط الرخاء ، وهذا الفرح فرح بطر يشبه فرح قارون في زينته ، عند ذلك أخذهم الله بغتة على حين غرة وهم غافلون غير مترقبين ، وإنما أخذهم الله في حال الرخاء ليكون أشد حسرة عليهم بنزول ذلك العذاب المهلك .[2]

وقد نهى الله عز وجل في كتابه عن البطر والعجب والفخر والاختيال وحرمه الإسلام وأبغضه ، قال تعالى على لسان لقمان يعظ ابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ لقمان: ١٨ فالإنسان لا يجب أن يُعرِض عن الناس تكبراً عليهم ، فلا أعلم ما الذي يدعوه إلى التعالي على الناس ، ومن أين له الحق بالزهو بهذه النعم عليهم ، وهي منة من الخالق عز وجل يمتن بها عليه ، أما هو فليس بقادر على منعها من الزوال فالله سبحانه كما وهبها يستطيع سلبها .

ثانياً : زوال النعمة وحلول السخط، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال: ٤٧ ، وفيها نهي جلي للمسلمين أن يكونوا كالمشركين من قريش خرجوا إلى بدر تكبراً متفاخرين بمنعتهم ، ومراءاة للناس ليمدحوهم .

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم (256/3)** .

[2] البقاعي : **نظم الدرر** (2 / 637 -636) .

يقول سيد قطب رحمه الله "يبقى هذا التعليم ليحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعاجب بقوتها ، وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها لا للاستعلاء على الناس واستعبادهم و التبطر بنعمة القوة باستخدامها هذا الاستخدام المنكر" [1]

وفي حديث رسول صلى الله عليه وسلم قال : " الخيل ثلاثة: فهي لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر. فأمّا الّتي هي له أجر، فالرّجل يتّخذها في سبيل اللّه ويعدّها له، فلا تغيّب شيئا في بطونها إلّا كتب اللّه له أجراً، ولو رعاها في مرج، ما أكلت من شيء إلّا كتب اللّه له بها أجراً ولو سقاها من نهر كان له بكلّ قطرة تغيّبها في بطونها أجر، ولو استنّت شرفاً أو شرفين كتب له بكلّ خطوة تخطوها أجر. وأمّا الّذي هي له ستر فالرّجل يتّخذها تكرّماً وتجمّلاً ولا ينسى حقّ ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها. وأمّا الّذي عليه وزر فالّذي يتّخذها أشراً وبطراً وبذخاً ورياء النّاس، فذاك الّذي هي عليه وزر..." [2] والمقصود من الحديث الحذر من البطر الذي يؤدي الى الهلاك.

ومن الأمثلة التي يضربها القرآن الكريم على النفس المعتزة بزينة الحياة نموذج الإنسان الذي أبطرته النعمة فكان جزاؤه هلاك النعمة التي أنعم الله بها عليه . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩

وهنا نهي واضح عن البخل والشح وغل اليد وشدة الإمساك في مقابلة نهي واضح عن الإسراف والتبذير الذي يفضي إلى زوال النعم والحسرة والندامة .

كما ذكر الله تعالى قصة قوم سبأ لتكون آية للناس وعبرة، ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ: ١٥، رزقهم الله جنة عن يمين وجنة عن شمال وقال لهم: كلوا واشربوا من هذه النِعم، بلدة طيبة معطاءة، ورب غفور يغفر الخطايا، استغفروا وكلوا وتمتعوا، فماذا كانت النتيجة؟ أعرضوا! وهذا الإعراض هو الذي دمر الأمم، فماذا كان من تلك الجنات؟ وأين ذهبت؟ ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ

---

[1] سيد قطب: **في ظلال القران** (416/3)

[2] رواه مسلم :الجامع الصحيح ، رقم الحديث2339 كتاب الزكاة ، باب اثم مانع الزكاة مسلم في اللباس والزينة باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه رقم 2088 (70/3).

جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ: ١٦ - ١٧.

لقد وهبهم الله من النعم الشيء الكثير حتى جعل بين قراهم والقرى الأخرى التي يسافرون إليها قرى يستريحون فيها ويأخذون منها احتياجاتهم لكنهم ملوا النعمة وبطروا فقالوا: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ لم يبق منهم إلا أحاديث يتحدث بها الناس وأمثلة تُضرب لمن طغوا وبطروا معايشهم﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سبأ:١٩.

هذا كله في الدنيا أما في الآخرة فيبقى الوزر والسؤال بين يدي الله تعالى، وتأمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أنه رأى رجلاً يجر إزاره فجعل يضرب برجله الأرض وهو يقول قال رسول الله: {صلى الله عليه وسلم {إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطراً"[1].

[1] مسلم: صحيح مسلم. ص(1653/3).

الفصل السادس

السنن الإلـهية والبعد الواقعي للعاقبة

المبحث الأول : تعريف السنن الإلـهية وعلاقتها بالعاقبة في القرآن الكريم

المبحث الثاني : العاقبة السيئة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث : العاقبة الحسنة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم

الفصل السادس

السنن الإلـهية والبعد الواقعي للعاقبة

لله سبحانه وتعالى في خلقه سنن ، وهذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه، وارتكب المنهي عنه، ووقع في حدود الله أصاب شر السنة الربانية.

وقد انتبه إلى أثر السنن في المجتمعات والاعتبار بها ابن تيمية رحمه الله فقال:'ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته؛ لم يصح الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن'[1].

[1] ابن تيمية: **جامع الرسائل** ، ص 55

المبحث الأول

تعريف السنن الإلهية وعلاقتها بالعاقبة في القرآن الكريم

إن الله تعالى خلق الانسان وأبدع في خلقه وأكرمه ، وأغدق عليه بنعم لا تُحصى ، وخلق له عقلاً كي يفكر به ، ويسر له الحياة ليعيش فيها ويعمل ، ولم يُجبر الانسان على فعـ ، فمن فسد خُلقاً كان هذا بإرادته وبفعله ومن أتقى الله وصان نفسه من الوقوع في الخطأ ، وأخلص النية لله تعالى في جميع أفعاله كان ايضا بإرادته وفعله ، وحسب فعله تكون نوع عاقبته حسنة كانت ام سيئة وحياة الانسان هي مزرعة للأخرة فمن زرع فيها خيراً وأحسن وأصلح حسنت عاقبته وحصد خيراً ، ومن زرع في حياته شراً فسينال العذاب العظيم ،وهذه سنن الله عز وجل في خلقه سنن ثابتة ينبغي إدراكها لا تتغير او تتبدل . قال تعالى﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الجاثية: 15.. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ فاطر: ٤٣ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٧

المطلب الأول : تعريف السنن الإلهية:

فالسنة لغة : مأخوذة من "سن" ولها أصل واحد مطرد ، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة ويسر ، "والأَصل فيه الطريقة والسِّيرَة."[1]، قال الراغب : " سنة الله قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته ، كما في قوله تعالى " ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفتح: ٢٣ فنبه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها الى ثواب الله تعالى وجواره ."[2]

---

[1] ابن منظور، محمد بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت، ج13، ص220.

[2] الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص274

والسنةُ هي الْعادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بِنظيره الأول ولهذَا أَمر بِالاعتبـــار وقال : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ يوسف: ١١١ .

والاعتبار أَن يقرن الشيءُ بِمثْله فيعلم أَن حكمه مثل حكمه قال تعالى : ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾ الحشر: ٢ وقال تعالى: لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ [[111: يوسف] أَفاد أَن من عمل مثل أَعمالهِم جوزي مثل جزائهم ليحذَر أَن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء[1].

والسنن بحسب سيد قطب رحمه الله هي (النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئـــة الله الطليقة وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين)[2].

ويمكن أن نختار من بيـــن التعاريف المتعددة للسنن بأنها : (منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه وعادة الله في سير الحياة الإنسانية وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله)[3].

ولعل هذا التعريف يصف منهج الله تعالى في تسييره لأمـــور الخلق وأن هذا المنهج يطبق وفق علم الله تعالى وحكمته دون أن يلزم الله تعالى بشيء ولكن هذا المنهج يعتبر علامات كلية يستنير بها المسلم في حياته ليكون على بينة ونور.

---

[1] بن تيمية: أحمد ، **مجموعة فتاوى ابن تيمية**، نسخة دار ابن حزم، ط2، الرياض، ج3، ص145

[2] قطب : سيد، **في ظلال القرآن** (ج1/480).

[3] الخطيب :شريف ، **السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2004م، ص27.

فيما يرى الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد أن السنن الإلهية هي : (الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهـــم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة)[1].

ويتضح من هذا أن كتـــب اللغة وأهل التفسير توافقوا على أن السنة هي الطريقة فإذا ما أضيف إليها لفظ الجلالة لتصبح سنة الله صار معناها طريقة الله تعالى، ونخلص من ذلك : أن سنة الله تعالى هي طريقته سبحانه في تسيير أمور الكون وفق قانون عام فيه معنى التماثل في النتائج إذا تماثلت المقدمات.

المطلب الثاني : العلاقة بين العاقبة والسنن الالهية

من خلال فهمنا للسنن الإلهية نفهم التاريخ ، ونفسر إحداثه تفسيراً شرعياً سليماً ينفعنا في تقييم حاضرنا وتوقع مستقبلنا، وربط النتائج بالأسباب ، إذن فالعلاقة وطيدة بين السنن الإلهية والعاقبة وهذا وذاك منوط بحسن فهم آيات الله تعالى ، وحسن تدبرها. يقول الإمام المراغي "إن النظر في أحوال من تقدمكم من الصالحين والمكذبين يهديكم إلى الطريق المستقيم ، فإن أنتم سلكتم طريق الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم ، وإن سلكتم سبيل المكذبين فحالكم كحالهم."[2]

أما أصحاب البصائر من أهل العلم فهم يعرفون عوامل البناء والأمن والاستقرار والصحة والرفاهية وعوامل الهدم والخوف والجوع والمرض كما قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ الأعراف: ٩٦

يقول الدكتور علي جمعة في تقدمة كتاب (السنن الإلهية): " إن سنن الله تعالى جانب من جوانب الفكرة القرآنية التي بثها الله في آيات هذا الكتاب المبين ، وهي تصور فلسفة القرآن في فهم

---

[1] زيدان :عبد الكريم ، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، مؤسسة الرسالة، ط3 2002م، ص13

[2] المراغي : محمد مصطفى ، **تفسير المراغي**، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1946م، ج4 ص61.

الحياة ، كما تصور حكمته في نعوت الكمال لله تعالى خالق الحياة . يتحدث القرآن عن سنن الله العامة في الكون على أنها دعامة النظام الكوني المتماسك بوشائج التوازن الالهي الذي يحكم به هذا النظام ، فهذا الترابط المحكم بين عوالم الكائنات علويها وسفليها ، ولهذا التنسيق بين آحادها ومجموعاتها."[1]

ومن هذه السنن الكثيرة التي أشار إليها سياق الآيات الكريمة عاقبة المكذبين على مر السنين ، ومداولة الأيام بين الناس ، ووجوب الصبر على الابتلاء والتقوى في سبيل استحقاق النصر.

وسنن الله تعالى التي بينها القرآن الكريم جديرة بالدراسة والفهم ، لأن ذلك معرفة لبعض الدين ، قال تعالى :" ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾" (النحل89)

" والمراد من (كل شيء) ما يتعلق بأمور الدين ، أي بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بذلك ، ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم "[2]

ولكن ما علاقة السنن ببحثنا عن العاقبة ؟؟؟

إن لها كل العلاقة لأن هذه السنن الربانية الثابتة الدقيقة لا تستثني فردا دون فرد ، ولا مجتمعا دون آخر ، فالعاقبة أو النهاية التي تلي هذه السنن سيجنيها الجميع سواء المؤمن التقي أم الكافر الفاسق الذي عتى في الأرض فأفسد فيها ، كل حسب عمله إذا وافق السنن التي حددها رب العالمين لتسير الامور على وفقها ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩

فلله في الأفراد سنن وفي الأمم سنن وفي الجماعات سنن وهذه السنن هي التي تسير وفقها الأمور وتترتب عليها النتائج من نصر أو هزيمة ، وسعادة أو شقاء ، وقوة أو ضعف ..

---

[1] عاشور: **السنن الإلهية**، ص217

[2] الآلوسي : **روح المعاني** 14/ 214

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز "﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾ النساء: ٢٦

والآيات الدالة على نتائج هذه السنن كثيرة نذكر منها :

أولا : قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ الفتح: ٢٢ - ٢٣

فهذه الآية تبشر المؤمنين بالنصر والتمكين في كل زمان ومكان إذا هم تمسكوا بإيمانهم .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية :" وقوله " سنة الله التي خلت من قبل " يقول تعالى ذكره :لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش ، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به الذين قاتلوه أولياءه من الأمم والذين مضوا قبلهم " وقوله" ولن تجد لسنة الله تبديلا " يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا بل ذلك دائم للإحسان جزاؤه من الإحسان ، وللإساءة والكفر والعقاب والنكال "[1]

ثانيا : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾ فاطر: ٤٢ - ٤٣

يقول القرطبي:" فهل ينظرون إلا سنة الاولين " أي إنما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين ." فلن تجد لسنة الله تبديلا" أي أجرى الله العذاب على الكفار ، ويجعل ذلك سنة فيهم ،

[1] الطبري: **جامع البيان** (235/22).

فهو يعذب بمثله من استحقه ، ولا يقدر أحد ان يبدل ذلك ولا أن يحول العذاب عن نفسه الى غيره "[1]

ثالثاً : قوله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٧

والآيات من كتاب الله عز وجل في ذكر مثل هذه السنن كثيرة جدا غير محصورة فيما ذكرنا بلفظ السنن بل ورود المعنى متضافر الذكر في القرآن وبخاصة عند التقديم والتعقيب على قصص الأنبياء مع أقوامهم.

[1] القرطبي: **تفسير القرطبي** (360/358/14).

المبحث الثاني

العاقبة السيئة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم.

يحث الله عز وجل في كتابه الكريم على البحث والتدقيق في تاريخ الامم والشعوب لغرض التدبر والعظة ،ومعرفة الأسباب والمسببات والاستفادة منها في الدنيا والآخرة .قال الله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الروم: ٤٢

هذه الآيات الكريمة توجه الانسان الى النظر في مصارع السابقين والامم الهالكة ،على الرغم من قوتها وجبروتها ، فهذا الكون انما يسير وفق نظام دقيق مقدر من السنن الربانية ، يتم فيها الجزاء على العمل ، ويلقى الخير والشر عاقبتهما وفق حكمة مدبرة .

وهذه الآيات إنما هي خطاب لهؤلاء المستهزئين المكذبين والمجرمين على كثرتهم وتفاوت هيئتهم واختلاف السنتهم والوانهم ، أي سافروا في الارض فانظروا واختبروا لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من العقاب الشديد والعذاب الأليم ، وهذا السفر مندوب اليه اذا كان على سبيل الاعتبار ، وانظروا إلى مساكن تلك القرون التي مضت وآثارهم كيف أهلكهم الله لتعلموا بذلك كمال قدرته ونفاذ مشيئته حسب سنته .[1]

وجه القرآن الكريم الطغاة والمتكبرين والمكذبين المستهزئين أن يسيروا ويتدبروا عاقبة ومصائر الغابرين ، ودعاهم للتأمل فيها ليكتشفوا مصائرهم ومصائر من سياتي بعدهم فسنة الله في الجميع لا تحابي أحدا .كي لا يغفلوا عن تلك الصلة الوثيقة بين الأجيال الماضية والحاضرة والآتية ، وعن وحدة السنن التي تحكم هذه الأجيال، وأن يتدبروا عاقبة أولئك المكذبين والمستهزئين

[1] القرطبي: **تفسير القرطبي** (363/6) (299/13).

ويتوقعوا مثلها . فالعاقبة واحدة وإن اختلفت أحوالها .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الروم: ٨ - ١٠

وفي كتاب الله عز وجل من قصص وأخبار الأمم المكذبة ، وما حل بهم من عذاب الله ما فيه ذكرى وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإنما حصل ما حصل لهم بسبب إعراضهم وتكذيبهم لرسل الله واستمرارهم في ذنوبهم وطغيانهم . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٠

ومن العبر أن عاقبة الكبر والطغيان تؤدي إلى الذل والهوان ، فقد تكبر إبليس واستكبر في بادئ الامر ، فذمه الله وتوعده بالخزي والعذاب ، وتبعه فرعون وهامان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٣٩ وبين الله تعالى شيئا من علو فرعون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾

فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الزخرف: ٥١ .٥٥ تكبر واستعلى حتى قال لقومه (**أنا ربكم الأعلى**)النازعات 24 فأغرقه الله في اليم .

ولقد توفر للقصص القرآني ما يجعله يمضي في نفس الخط الذي يمضي فيه قانون الله تعالى في السنن فالناظر للقصة في القرآن يجد أنها ليست خاصة بزمان معين أو مكان محدد أو أفراد مخصوصين. بل يتعدى مفعولها وفائدتها إلى كل من انطبقت عليهم صفات صاحب القصة.

مثال ذلك قصة قارون تختم بقوله تعالى: " ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ القصص: ٨٣ وذلك بعد القصة التي حوت حلقات من الصراع بين الحق والباطل وحوارات دائرة بين الذين يريدون الحياة الدنيا والذين أوتوا العلم إلى غير ذلك وهكذا كل قصة من القصص القرآني تمضي على هذا الطريق وتنسج على المنوال نفسه.

«ذلك أن أحداث التاريخ تتكرر وتتشابه إلى حد كبير لأن وراءها سنن ثابتة تحركها وتكيفها ولهذا قال الغربيون: التاريخ يعيد نفسه. وعبر العرب عن هذا المعنى بقولهم: ما أشبه الليلة بالبارحة. وأفصح عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠ ".[1]

وقارون ، نموذج الترف والبطر والتمتع بالمال والغنى مع الكبر والإعراض عن الله تعالى والفساد في الأرض . فماذا كان مصيره ؟؟ خسف الله به وبداره الأرض وأنزله إلى مكان سحيق. وقوم هود ، وقوم عاد وغيرهم ماذا كان مصيرهم ؟؟ تحدثت الآيات في كتاب الله الكريم عن هلاك هذه القرى والأمم بسبب ظلمهم وطغيانهم وكفرهم فكان جزاؤهم بما عملوا عاقبة سيئة في الدنيا والآخرة . قال تعالى :﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا

(1) عاشور: مدخل إلى دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم صـــ51.

بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ (الانبياء 11-15)

وأقتصر على هذه الأمثلة ولكني اؤكد ان سنة الله سبحانه في خلقه جارية يمهل ولا يهمل ، وهو عزيز ذو انتقام وما من جبار متكبر ، ولا مكذب مستهزئ إلا وقد جعل الله عاقبة أمره خسرا . وبالنظر إلى بلاد المسلمين اليوم وواقعهم المعاصر لوجدناها ملئت من هؤلاء الظالمين المتجبرين والمتكبرين ، لوجدناها ملئت ظلماً وجوراً ، حيث أطلق الحكام على شعوبهم ظلمهم ونشروا فيها الفساد.

وقوم قارون تمنوا مكانه بالأمس ثم ندموا على ما فعلوا بعدما رأو هلاك قارون بما فعل ، وفي واقعنا وتاريخنا ما من عمل يشابهه إلا وله عقابه ، ومصيره ، (ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله فهل ينظرون الى سنة الأولين)

ثم إن أعداء الحق مهما تجبروا وأسرفوا إلا أنهم موعودون بألوان من الأذى والعذاب، هذا ما نستيقنه في حربنا مع الظلم والاحتلال الذي بغى في أرضنا فسادا. فمع بطشه وتجبره بالعتاد والسلاح؛ إلا أنه يلقى من الهوان النفسي والكسر المعنوي ما لو صب على الجبال لتصدعت.

وقد جاء القرآن معبراً عن هذه الحقيقة كما في سورة آل عمران، قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٩ - ١٢٠ وقال سبحانه: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٥

ولن يفهم حركة التاريخ وسنة الله تعالى في الابتلاء والعاقبة الا من فقه سنن الله في خلقه ولا تسقط الأمم والشعوب وتهلك إلا إذا هي تنكبت عن تلك السنن ، ولو تأملنا دورة التاريخ

لوجدنا أنفسنا ننظر إلى مصائر السابقين تعود متمثلة بهلاك الحكام الظلمة ، وكيف أزاحهم الله عن كراسيهم وأكبهم على وجوههم .

إن ما جرى للمكذبين والمتجبرين بالأمس سيجري مثله اليوم وغدا لمن يسيرون على نهجهم ، ذلك لكي يطمئن المسلمون المتقون إلى العاقبة التي تنتظرهم ويحذروا الإنزلاق مع المكذبين والهالكين .

إن واقع الطغاة ليس وليد اللحظة إنما هو موغل في القدم منذ زمن فرعون ، وما يحدث في الأمة اليوم هو استمرار لسنة الله في المترفين والمتجبرين ، وما سقوط الحكام ونهايتهم المؤلمة التي حلت بهم من سجن أو قتل أو تشريد أو إذلال إلا تحقيق لقوله تعالى﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢ - ٤٣ وجزاؤهم من جنس عملهم لم يصبهم إلا بما كسبت أيديهم وما زال المتجبرون الظالمون في العالم المعاصر يلاقون حسابهم في الدنيا قبل الآخرة .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد : 11.

المبحث الثالث

العاقبة الحسنة بين الماضي والحاضر في ضوء القرآن الكريم

وكما أن سنن الله عز وجل سنن في العاقبة السيئة ، فلله سنن جارية في العاقبة الحسنة ، فلكل امر ما يقابله ويكون في الجهة الاخرى منه ، فكما للظالمين والمتجبرين والمتكبرين عاقبة الهلاك والهوان ، فللمتقين والصابرين عاقبة النصر والتمكين والعلو للحق وأهله.

هو صراع قائم بين الحق والباطل تدور أحداثه منذ قديم الزمن ، منذ خلق الإنسان ، منذ أن تكبر إبليس على أوامر الله عز وجل ، وتطور هذا الصراع حتى يومنا الحاضر ، وسيستمر حتى يوم القيامة لانها سنة كونية دائمة ، هؤلاء لهم الهلاك والعاقبة المؤلمة وأولئك لهم النصر والعاقبة الحسنة .

يقول سيد قطب رحمه الله: "هناك حقيقة ينساها البشر حين يمكّن الله لهم في الأرض. ينسون أن هذا التمكين إنما تم بمشيئة الله ليبلوهم فيه؛ أيقومون عليه بعهد الله وشرطه من العبودية له وحده، والتلقي منه وحده؟ أم يجعلون من أنفسهم طواغيت تَدّعي حقوق الإلهية وخصائصها إنها حقيقة ينساها البشر، فينحرفون عن عهد الله ويمضون على غير سنة الله، ولا يتبين لهم في أول الطريق عواقب هذا الانحراف، ويقع الفساد رويدًا رويدًا وهم ينزلقون ولا يشعرون حتى يستوفي الكتاب أجله ويحق وعد الله. ثم تختلف أشكال الأخذ والنهاية؛ فمرة يأخذهم بعذاب الاستئصال، بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم كما وقع لكثير من الأقوام، ومرة بالسنين ونقص الأنفس والثمرات كما حدث لأقوام آخرين، ومرة يذيق بعضهم بأس بعض، فيعذب بعضها بعضًا، ويدمر بعضهم بعضًا، ويسلط الله عليهم عبادًا له - طائعين أو عصاة - يخضدون شوكتهم. ثم يستخلف الله العباد الجدد ليبتليهم بما مكنهم.

وهكذا تمضي دورة السنة؛ فالسعيد من وعاها، والشقي من غفل عنها، وإنه لَمِمَّا يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي أو الملحد الكافر ممكنًا له في الأرض غير مأخوذ من الله. ولكن الناس

إنما يستعجلون، لأنهم يرون أول الطريق أو وسطه، ولا يرون نهاية الطريق؛ لأن السنة تستغرق وقتًا طويلاً لكنها تلاحظ من خلال التاريخ'."[1]

ولو نظرنا وتفكرنا في تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لوجدنا الكثير من الشواهد على تحقيق سنة الله في المتقين والصابرين ، وما جرى من تحقيق هذه السنة في الماضي سيجري مثله ان شاء الله في الحاضر والمستقبل إذا تحققت أسبابها من ظهور المتقين الصابرين الذين يستحقون نصر الله عز وجل ، يقول ابن تيمية رحمه الله: ' فإن كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون، كان هذا موجبًا لنصرهم حيث وجد هذا الوصف، بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا إيمانهم كيوم أحد؛ فإن الذنب كان لهم، ولهذا قال تعالى:{...**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** [62]}[سورة الأحزاب] . فعمّ كل سنة له "[2]. وقد سار شيخ الإسلام رحمه الله في ضوء هذه السنة الربانية، وعمل بها في جهاد التتار لما احتلوا بلاد الشام، وكتب للمسلمين يحرضهم على القتال، وينبههم إلى هذه السنة الإلهية في نصر أوليائه، وهلاك أعدائه. وقال في هذه النازلة يبشر المؤمنين بالنصر، وأن العاقبة للمتقين: 'واعلموا - أصلحكم الله - أن النصرة للمؤمنين والعاقبة للمتقين، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وهؤلاء القوم مقهورون مقموعون. والله سبحانه وتعالى ناصرنا عليهم ومنتقم لنا منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسن العاقبة ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران: ١٣٩

ويترتب على هذه الحقيقة أن الباطل مهما انتصر فانتصاراته مؤقتة وليست حقيقة واقعية ، وآيات القران تخبرنا أن النصر دوما في جانب الحق والهزيمة والهلاك في جانب الباطل . قال تعالى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ الإسراء: ٨١

وقد قص علينا القرآن كثيراً من القصص التي تبين أن العاقبة للحق ، منها الصراع الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون الطاغي المتجبر . كانت النهاية فيه للحق والايمان والعدل .

---

[1] قطب: سيد ، **في ظلال القرآن** (471/2) .

[2] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم ، **جامع الرسائل** رسالة في لفظ السنة في القرآن، (54/1).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٧

وسيرة نبينا الكريم فيها من الأمثلة على العاقبة الحسنة التي تنتظر المؤمنين ، مثال غزوة بدر التي كانت العاقبة فيها للإسلام والحق . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الأنفال: ٧ - ٨ وانتصر المسلمون فيها نصرا مؤزرا .

ولو تأملنا التاريخ القديم والحديث لوجدناه مليئاً بالأحداث الدالة على أن أصحاب الحق والمتقين والصالحين ، لهم العاقبة والنصرة والتمكين ، ، قال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧ والنصر والغلبة ليس أمرا يأتي بدون جهد ومجاهدة ، إنما لابد من الصبر والجهاد كما يجاهد أهل الباطل في سبيل غايتهم ، على أهل الحق أن يجاهدوا ويصبروا أكثر حتى تكون الغلبة لهم ، وأن الله يقدر لأوليائه أحسن المقادير ويجعل عاقبتهم أحسن العواقب .وتمام ذلك أن ينصرهم ويخزي أعداءهم ، ويضل أعمالهم ، فمن عظم بره ونفعه حسنت عاقبته في الدنيا والآخرة ، قال تعالى بعد ذكر قصة نوح: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩

وقد تكرر ذكر نصر الله للحق والمتقين واصحاب اليمين وان العاقبة لهم بعد الابتلاء والصبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ الصافات: ١٧١ - ١٧٣ (أي تكون لهم العاقبة)[1]

وما من شخص اعز اولياء الله الا واعزه الله ومكن له وجازاه الجزاء الاوفى ومن خلال متابعة واقع المسلمين المعاصر وادراك المأساة التي يعيشونها في ظل تآمر اهل الكفر وتواطؤ المفسدين في العالم ، وبعدهم عن الحق واتباع الباطل نفهم سبب العاقبة السيئة والحسنة ، وبالمقابل لوجدنا الصدق والعدل والتمسك بحبل الله هو سبب العاقبة الحسنة .

ومن الصور التاريخية التي تجلت فيها العاقبة الحسنة لعباد الله المؤمنين ، وإن كان الأمر يبدو في ظاهره وللوهلة الأولى هزيمة واندحاراً ، ما كان من أصحاب الأخدود الذين تمسكوا بدينهم ورفضوا المساومة عليه، على الرغم من حفر الأخاديد لهم، وإلقائهم في النار وحرقهم أحياء، وتأتي المفاجأة ؛ بدل أن يضعف من يضعف، ويهرب من يهرب، لا تسجل الرواية أن احداً منهم تراجع أو جبن أو هرب، بل نجد الإقدام والشجاعة وذلك بالتدافع إلى النار، وكأن الغلام قد بث فيهم الشجاعة والثبات، وهاهم يجدون في اللحاق به وكأنهم يتلذذون في تقديم أرواحهم فداء لدينهم؛ فكانوا هم المنتصرين، بل سماه الله عز وجل فوزاً كبيرا؛ قال تعالى:{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير}.

ونجد هذا المعنى من معاني الانتصار في الحديث الذي رواه خباب عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: (ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعوا لنا؟)، قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه).[2]

إن النصر ومصير هذا الدين بيد الله سبحانه، فقد تكفل به ووعد به فإن شاء نصره وأظهره وإن شاء أجله وأخره، وإن أبطأ فبحكمة مقدرة فيها الخير لأهل الحق، وليس بأحد اكثر غيرة على

---

[1] ابن كثير :**تفسير القرآن العظيم**،(45/7).

[2] البخاري : **الجامع الصحيح**، باب علامات النبوة في الإسلام ، كتاب المناقب ، رقم الحديث 3416 (1322/3).

الحق وأهله من الله، ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ (الروم4_6) . فإن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته وعزت عظمته يمن على المؤمنين بالنصر أحيانا ويبتليهم بعدمه أحياناً أخرى فيحرمهم من هذه النعمة ويذيقهم طعم الابتلاء لحكم يقدرها ويعلمها.

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخراً، وظاهراً وباطناً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، اللهَّم لك الحمدُ على ما أنعمت به عليَّ من حسن تمام هذا البحث، وأسالك المزيد من فضلك، ودوام توفيقك يا أكرم مسئول ، وخير مأمول، وبعد:

فقد توصلت الباحثة بتوفيق الله تعالى في هذا البحث ، وبعد البحث والتجوال في كتب التفسير والأخلاق، فيما يتعلق بموضوع الدراسة إلى نتائج أجملها فيما يأتي :

القرآن الكريم كتاب الله الذي هو أصل النور للعقل ، والطمأنينة للقلب ، وفيه طريق الهداية والثبات عليها ، وفيه تفصيل ما يحتاج إليه الإنسان لمعرفة الله تعالى ، وطاعته ، ونيل رضاه ، ليحصل بذلك على السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة ، . قال تعالى :﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾طه : 1_4 .

إن الباحثين في علوم القرآن تبينوا وتلمسوا كثيراً من أوجه الإعجاز القرآني ، وأسرار القرآن الكريم في جوانب الحياة ، فالقرآن لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، قال تعالى : ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ ﴾ فصلت :1_4 .

إن من أهم وظائف هذا القرآن هو صياغة وتكوين الشخصية الإنسانية ، لتكون لبنة صالحة لخلافة الله تعالى في هذه الأرض ، قال تعالى : { هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } هود:61 .

إن من أهم مبادئ التربية وسائلها الناجحة تقديم الحوافز للإقبال على الأعمال ، وبيان خاتمة ونتيجة الأعمال الحسنة ، ليقبل عليها فيكون صالحاً مصلحاً ، أو يبتعد عن الأعمال السيئة ويريح نفسه والمجتمع من شرورها وعاقبتها في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى

فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ طه ١٢٦

هناك علاقة وثيقة بين العاقبة والسنن الربانية التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه وجرت وتجري عليها نواميس الكون ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر بتدبر هذه السنن والتفكر فيها وربط الماضي بالحاضر من خلالها.

إن كل عمل له عاقبته إن كان حَسَناً فعاقبته حسنة وإن كان سيئاً فعاقبته سيئة تطبيقاً لقاعدة (الجزاء من جنس العمل).

إن ارتكاب المعاصي والذنوب والتخلق بالأخلاق الذميمة يوجب العاقبة السيئة، وإن الإيمان وما يتعلق به من الأخلاق الحميدة يوجب العاقبة الحسنة.

إن ما يصيب الأمة الآن إنما هو استمرار لسنن الله تعالى في خلقه.

إن العاقبة في القرآن الكريم على وجهين، حسنة وسيئة . ومن الأخلاق والأعمال الموجبة للعاقبة السيئة : البطر، والترف، الكبر، والظلم .ومن الأعمال الموجبة للعاقبة الحسنة : التواضع ، التقوى ، الايمان والصبر.

إن الإنسان لا يدرك السعادة وحسن العاقبة إلا بسلامة قلبه وأخلاقه ، لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء 89/88).

إن العدل الإلهي يتجلى بجزاء الإنسان بما كسبت يداه إما نعيم مقيم ، وإما شقاءٌ دائم ، فكيف يضيع منه أجر من أحسن عملا ؟؟وكيف يتم العفو عمن طال عمره بالمعاصي وتوفرت فيه موجبات سخط المولى عز وجل وغضبه ، واستحقاق عقوبته ، لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر .

الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي منذ الأزل ، إلى أن تقوم الساعة ، ولهذا الصراع سنن لا تتبدل، ولا تظهر هذه السنن إلا لمن تدبر آيات القرآن الكريم .

ومن خلال استعراضي للإنتاج الفكري والمراجع ، والمصادر ، التربوية في تفسير القرآن الكريم ، لم أجد المصادر والمراجع المتخصصة ، والمفصلة لموضوع العاقبة في القرآن الكريم وقد رأيت أهمية هذا الموضوع للمكتبة الإسلامية ، والمراجع التربوية ، ، في هذا العصر الذي اتسعت فيه مسافة الجفاء بين الإنسان والقرآن . قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان :30_32 .

قائمة المصادر والمراجع

ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت: 795 ه) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وابراهيم باحس ، مؤسسة الرسالة -بيروت،(ط7/1417ه/1997م).

ابن عاشور ،محمد الطاهر،0(ت1393ه) **التحرير والتنوير** ، دار سحنون -تونس ، (طبعة سنة 1997م).

ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الاندلسي ،(ت:541ه)**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد دار الكتب العلمية -بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

ابن فارس ،أبو الحسن ،أحمد بن فارس بن زكريا (ت:397ه)**معجم مقاييس اللغة** ،تحقيق :عبد السلام هارون ،دار الفكر -بيروت ، طبعة سنة (1399ه/1979م) .

ابن قدامة ، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ، (ت:682ه)، **مختصر منهاج القاصدين** ، خرج احاديثه وعلق عليه : عبد الله الليثي الانصاري، دار الفكر -بيروت، طبعة سنة (1408ه/1987م) .

ابن منظور ، أبو الفضل ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:750ه)، **لسان العرب** ، دار صادر بيروت ،(ط1/1410ه).

أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ،(982ه) **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** دار إحياء التراث العربي بيروت ،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي (ت:745ه)، **البحر المحيط** ،تحقيق : الشيخ عادل عبد الموجود ،وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت،(طبعة سنة 1399ه/1979م).

أبو داود ،سليمان بن الأشعث السجستاني ،**سنن أبي داود** ،تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر -بيروت(بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد (ت: 370ه)، **تهذيب اللغة** ، تحقيق : محمد عوض بمرعب ، دار إحياء التراث العربي بيروت، (ط1م2001م) .

الأصفهاني ، أبو قاسم الحسين بن محمد (ت:502ه) **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة لبنان ، (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) .

الألباني ، محمد ناصر الدين ،:(ت:1420ه) ، **السلسلة الصحيحة** ، مكتبة المعارف الرياض (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر) .

الآلوسي، أبو الفضل محمود (ت: 1270ه) ، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني** دار إحياء التراث العربي بيروت، (بدون الطبعة ولا سنة النشر).

البخاري ، أبو عبد الله ، محمد بن اسماعيل (ت:256ه) **صحيح البخاري** ، الموسوم ب(الجامع الصحيح المختصر) ،تحقيق :د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت، (ط1407/3ه/ 1987م).

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد،(ت:516ه)**معالم التنزيل في التفسير** ،تحقيق :خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت،(بدون طبعة ولا سنة النشر).

البقاعي أبو الحسن ،برهان بن عمر (ت:885ه)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية بيروت ، طبعة سنة(1415ه/1995م)

البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685ه)، **تفسير البيضاوي الموسوم ب(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)** دار الفكر بيروت(بدون طبعة ولا سنة النشر).

البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي ،(ت458ه)، **السنن الكبرى** ، تحقيق : احمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز مكة المكرمة،(طبعة سنة1414ه/1994م).

الترمذي ،أبو عيسى ،محمد بن عيسى السلمي ،(ت:279ه) **سنن الترمذي** ،تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي -بيروت،(بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الثعالبي ،أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف(ت875ه)،**الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -بيروت (بدون طبعة ولا سنة النشر).

الرازي ،فخر الدين محمد بن عمر التميمي ، المعروف بابن الخطيب الشافعي ،(ت:606ه) **التفسير الكبير الموسوم ب(مفاتيح الغيب)**دار الكتب العلمية بيروت ،(ط1/1421ه/2000م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت127ه)، **مختار الصحاح** ،تحقيق: محمود خاطر ،مكتبة لبنان ناشرون -بيروت، (طبعة سنة 1415ه/1995م).

الزبيدي ،محمد مرتضى الحسيني (ت:1301ه) **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية(بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر)

الزحيلي ،وهبة بن مصطفى ،**التفسير المنير** ،دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (1418ه)

الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمر ،(ت538ه)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق: عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376ه) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** تحقيق: ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة - بيروت (طبعة سنة 1421ه/2000م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، (ت:1393ه)، **أضواء البيان في ايضاح القران بالقران** ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر -بيروت ، (طبعة سنة1415ه/1995ه)

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت:1250ه) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، دار الفكر -بيروت (بدون طبعة ولا سنة النشر).

الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (360ه) **المعجم الكبير** ،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ،مكتبة الزهراء الموصل ، (ط2/1404ه/1983م).

الطبري ، أبو جعفر ،محمد بن جرير (ت310) **جامع البيان عن تأويل أي القران** ، دار الفكر - بيروت ،طبعة سنة (1405ه).

الطغرائي ، ابو اسماعيل ،الحسين بن علي ،(ت:513ه) ، **ديوان الطغرائي** ، مطبعة الجوائب-القسطنطينية، ط1300/1ه).

عبد الباقي ،محمد فؤاد(ت:1388ه)، **المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم** ، دار الفكر-بيروت (طبعة سنة 1407ه/1987م) .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ،(ت: 505 ه)، **إحياء علوم الدين** ، دار المعرفة-بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

الفيروز آبادي ، مجد الدين بن يعقوب (817ه) **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة بيروت (بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

قطب، سيد (ت:1386ه)، في ظلال القران، دار الشروق القاهرة (ط 1401ه/1981م).

المراغي ، أحمد مصطفى (ت:1364 ه)، **تفسير المراغي** ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده-مصر ،(بدون ذكر الطبعة ولا سنة النشر).

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ،(ت:261ه) ، **صحيح مسلم** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،(بدون طبعة ولا سنة نشر).

الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، دار القلم-دمشق (ط1420/2ه/1999م).

النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت:710ه)، **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل** ،تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس - بيروت (طبعة سنة 2005م).

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Consequence(Quranic study)

By

Sujood Abed Alwahed

Supervised by

Dr .Odeh Abedallah Odeh

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2013

Consequence (quranic study)

By
Sujood Abed Alwahed
Supervised by
DR Odeh Abedallah Odeh

Abstract

The important concern of the faithful is that god writes them Hassan consequence and survived the bad ones

this study addressed the issue of consequence in the holy Quran through its verses , and it has been divided in to six chapters , an introduction and conclusion , in the fore ground the importance of this study was discussed high lights its value by talking about lows of god's creation and the usefulness of the account of the end of the formers and connect them with reality .

As for the chapters , the first one of which was in the definition of the sequel idiomatically and lingually through the quranic context , and then followed by the second chapter , entitled : the deals that deserves the good end ,followed by the third chapter which contained the chapter dead's that deserves the bad ending .as for the fourth chapter encompassed some good morals and its recompenses

And of the some in the fifth chapter but it demonstrate the bad consequence and the sixth chapter which discuses (finely) the relationship between the sequel are the lords sunah, linking the past and the present and taking lessons from the previous stories and clans in the holy Quran and linked it with our contemporary reality

The researcher referred to inter … book hadith, ethics book, language and translations to conduct her research with special focus on books and the …. Made by Muslim into prefers and scholars

In the conclusion , the researcher included a number of results that the study holed :

1- There is a close relationship between supreme achievement and lords "sunah" which have been mentioned by . god almighty in his book

and were conducted by the lows of the universe ,so that god almighty has ordered to contemplate

2- Every action has its consequences ,is well good the consequences will be good , albeit bad then the consequences will be bad , in application to the base (box of sex work)

3- The commission of sin and guilt and reprehensible embryogenesis morality , necessitates the consequences .

4- What happens to the nation now nothing but a continuation of the ways of god in creation .

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.